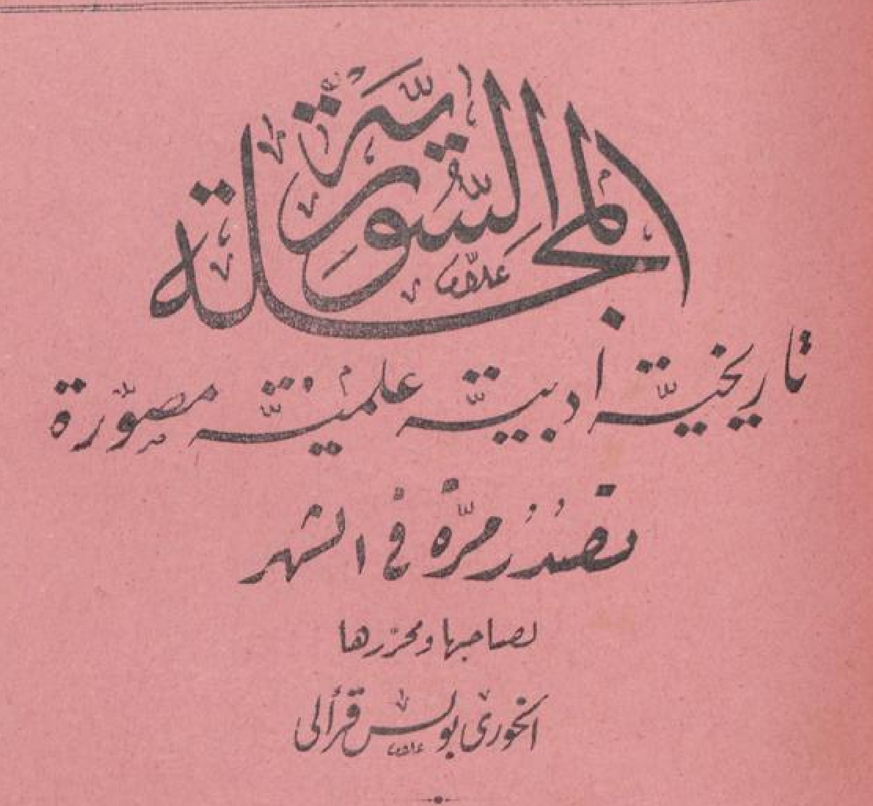
السنة الثانية الجزء ٤ ١٥ ابريل (نيسان) ١٩٢٧



الادارة بشارع دمنهور رقم ١٦ — مصر الجديدة — مصر

تليفون رقم ٢٥ — ١٠ (زيتون)

La Revue Syrienne

Mensuelle , Historique , Littéraire

PROPRIETAIRE — REDACTEUR

L'abbé Paul Carali

DIRECTION : 16 RUE DAMANHOUR. HELIOPOLIS (EGYPTE)

TEL. No 10-25 (ZEITOUN)

ABONNEMENT ANNUEL EN EGYPTE P. T. 60

A L'ETRANGER 100 FRS - 3 DOLLARS ET DEMI - 14 SHILL.

2[E] Année N. 4 15 Avril 1927

طبعت بالمطبعة السورية بمصر الجديدة

أهم حوادث حلب

في النصف الاول من القرن التاسع عشر

نقلاً عن مفكرة مخطوطة

للمطران بولس اروتين

١ مذبحة الروم الكاثوليك سنة ١٨١٨

٢ ثورة الحلبيين على خورشد باشا سنة ١٨١٩

٣ خارطة حلب سنة ١٨١٨ – حي النصارى – زلزال سنة ١٨٢٢

٤ الهجوم على حي النصارى سنة ١٨٥٠

نشرها لاول مرة وعلق حواشيها

الخوري بولس قرألي

ثمنها

٦ غروش صاغ مصرية

وشلن ونصف في اوربا واميركا

تباع

في مكاتب الفجالة بالقاهرة

وفي مكتبة المعارف ببيروت

وتطلب من حضرة القس الياس غالي وكيل المجلة في حلب

ومن ادارة المجلة السورية بمصر الجديدة – مصر

تلفون ٢٥ – ١٠ (زيتون)

المجلة السورية
تاريخية ادبية علمية مصورة

تصدر مرة في الشهر

السنة الثانية الجزء ٤ ١٥ ابريل (نيسان) ١٩٢٧

اهم حوادث حلب

في النصف الاول من القرن التاسع عشر

نقلاً عن مفكرة للمطران بولس اروتين

نشرها لاول مرة وعلق حواشيها الخوري بولس قرألي

القسم الرابع — ثورة سنة ١٨٥٠ (تتمة)

اما السيد بولس مطران الموارنة حيث بقي دون باقي الرؤساء في قلايته ، فصارت تتوارد اليه كل يوم جماعة من الاعيان ووجوه البلد وارباب الحكم يسلمون عليه ويتفاوضون بما يخص تدبير حال النصرانية ، حتى اضحت دار اسقفيته كأنها محكمة ثانية من الصباح حتى المساء ، تتقاطر الناس من اسلام واعيان وعساكر ونصارى ومشايخ ، وكانت جميع الاستعلامات والتدبيرات تتم بمشورته وعلمه . ومن ثم فاقتضى لمصاريف وافرة وحدث له ثقلة كلية . انما حباً بخير المسيحيين لم يستأنف من كلما بدى له من مصاريف ومن الثقلة .

واما حال البلدة لم يزل ما بين خوف وجزع واضامات شديدة حتى ابتدت تتوارد العساكر رويداً رويداً من الاطراف وتجتمع كلها في الشيخ يبرق وما يليه . وعبدالله بابنسي (كان) مؤملاً انه لاجل ضبطه البلد من قومة ثانية سيحصل على انعامات من الدولة ، ومن ثم فنبه على بعض محلات ان يردوا مال النصارى المنهوب ، فابتدى

يتوارد جانب الباس ؟ نظير فرش ولحف ومخدات لانفع لها ، وطلب من المطران بولس يتسلمها ويعطي بها وصولاً قاصداً بذلك ان يظهر لدى الدولة تمام اعتنايه الامر المستحق الهزؤ ، لان المبالغ الجسيمة المنهوبة تسترد بكام فراش عتيق لا تليق سوى بالزبالين اتباعه . فسيادته ابى عن التسليم والتسلم ، وارتاوا ان توضع في كنيسة الروم المحروقة لوقت ما

فاستقام حال البلد على هذا الحال مدة عشرين يوماً بحال العصاوة . والاسلام مع علمهم ان المادة بعد لم تنته ، فيمين العلي ضبطتهم عن فتنات كثيرة خاصة ندم الذي حل بهم بعدم قتلهم النصارى وابادتهم في ذاك اليوم ، الامر الذي صاروا يلهجون بذكره دائماً اي ندامتهم عن عدم قتلهم وتهديدهم بذلك في المستقبل . وكانوا في هذه البرهة يتحصنون بمشترا اسلحة حتى اتصل ثمن البندقية التي تسوى خمسون غرشاً يشترونها بثلاثماية غرشاً واكثر ، حتى لم يبق احد منهم الا وعنده طاقين سلاح او ثلاث . وابتدأوا يشتغلوا باروداً ويجلبوه من غير اطراف ويسكبون رصاصاً ويتحصنون بغاية ما يمكنهم . وصار في هذه المدة جفلات واراجيف كثيرة ولم تكن المسيحيين تأمن على حياتها ولا ليلة واحدة .

فما زالت العساكر السلطانية تتوارد حتى تجمع نحو ستة آلاف عسكري من نظام وغيره . فوضع سعادته في القلعة نحو مايتين عسكري ورفع الجسر الدف الذي يدخل منه اليها . في يوم الثلاثاء الذي في ٥ ت ٢ الموافق الى غرة محرم وقت العصر ما شاهدنا الا والناس تتراكض وسكرت ابواب الخانات والبلاد والاسلام كلها تسلحت والنصارى اختفت وابتدت المدافع تضرب من الشيخ يبرق والقلعة. وذلك لان اوامر الدولة كانت وصلت الى الباشا في ضرب العصاة واصلاح البلد . فاستدعى يومها سعادته الاعيان ومعهم البابنسي بحجة قراءة فرمان . . واذ وصلوا الى الشيخ يبرق امر حينئذ ان يمسك عبد الله بابنسي ويلقى في السجن مع اتباعه الذين معه . فاذ شعرت العصاة بذلك تسلحوا جميعهم بطلب عبد الله وخرجوا زاعمين تخليصه

فابتدى حينئذ الضرب فيما بينهم وشرعت اهل البلد من جميع صوايح حلب تتسلح وتلحق الجمهور الذي كان اجتماعه في قرلق و بنقوسه وباب النيرب ، وطفقوا يبنون متاريس لتحصينهم . فوقتئذ صار لهم مقداماً ورأساً محمد اغا بابنسي ابن عم عبد الله واشتعل الحرب فيما بينهم . فقولقات العسكر الموجودون في البلد منهم من لحق الاوردو اي الشيخ يبرق ومنهم بقيوا مكانهم واسلحتهم بايديهم يضربون الجماهير من الاسلام الصادية والغادية . وكذلك من في القلعة منهم من كانوا يضربون المدافع ومنهم من بايديهم التفنك يضربون و يقتلون كل من مرّ في ذاك الطريق . ولم يزل الضرب ثايراً بينهم حتى غابت الشمس . وصار في تلك الليلة مطراً وبرداً غزيراً فانتهز الفرصة تلك الليلة البعض من اهل صايح المشارقة واتوا الصليبه ونهبوا ما وصلت اليه يدهم وذلك مما بقي من ايدي القوم بعد نهبه ، وطفقوا يضربون الابواب ويركضوا وراء الناس يقتلونهم حتى ابقوا من كان باقياً في الصايح من المسيحيين بخوف عظيم تلك الليلة .

فمحمد بابنسي ارسل حالاً رسلاً الى دهام امير عرب العنزه ان يأتي لمساعدته في تخليص عبد الله ، لان عبد الله له محبة عظيمة عند العرب . وكذلك اخباراً الى القرى والاطراف ليأتوا ايضاً ، وصارت تتوارد من القرى فلاحين كثيرين لمساعدة اهل البلد حتى صاروا نحو ثلاثين الف محارب . ولما اسفر يوم الاربعاء ابتدى الحرب ايضاً بينهم ولم (يزل) ثايراً من الجهتين حتى بعد نصف النهار . لكن ماذا تظن اي خوف عظيم استحوذ (على) المسيحيين في هذه الايام الحربية ، لان اجواق القوم ولميع اسلحتهم وضجيجهم وصياحهم حين مرورهم بالشوارع والازقة كان عظيماً ، وكانوا يتوعدون المسيحيين ان بقي لهم من العمر ساعات قليلة . وبالحقيقة ان نواياهم الخبيثة قد كانت شهيرة ، اي انهم مزمعون بعد ان يظفروا بالعسكر يبيدون كل نصراني من حلب ولا يبقوا لمسيحي اثر والاموال الباقية فهي اموالهم . الا ان المراحم الالهية قد عجلت بانقراضهم وانتصار حسام السلطنة السنية

في ارقابهم ، وذلك لان العساكر السلطانية احتلت صايح بنقوسه وفرّت من وجوههم العصاة المحاصرين هناك وابتدى العسكر ينهب اموالهم ويحرق الاسواق مع البيوت . ووقع من الجهتين قتلى ومن جملتهم محمد بابنسي تصوب برصاصة وحمل جريحاً الى الكتّاب الذي هو محل الافرنج . غير ان القوم هربت من بنقوسه وتجمعت في باب النيرب وافرغت كل قوتها هناك ، وصار الحريق يعلو ويمتد كثيراً في ذلك الصايح . واذ استولى الظلام بطل الحرب . والاّ دهام امير العرب مقبلاً في تلك الليلة ففرحت اهل البلد لقدومه وعلت اصواتهم جداً مستبشرين بالنصر المقبل .

واذ بلغ محمد بابنسي قدومه قام وهو جريح ماضياً لاستقباله في باب النيرب وتفاوضا مع بعضهما عن كيفية ترتيب الحرب في اليوم المقبل ، اي ان العرب يبقوا خارجا من خلف العسكر واهل البلد من امامهم . واذ يكون العسكر مشتغلا بمحاربتهم فيهجمون العرب ويظفرون بهم . غير ان الله اقلب سريعا فخهم على رؤوسهم . وذلك ان يوم الخميس في ٧ ت ٢ صباحا ابتدى الحرب بقوة شديدة والمدافع تضرب من القلعة والشيخ يبرق حتى الضحى . وحين شاهد العسكر ان اهل البلد لم تكن تخرج من وراء المتاريس ، خرجت فرقة منهم مع مدافع الى اراضي عو.د التي هي تجاه باب النيرب ، واذا بقليل من العرب استعلت على تل من وراءهم فاذ شاهدت اهل البلد العربان قد بانت خرجوا من وراء المتاريس وهجموا بقوة كلية على العسكر والشيخ يبرق مستبشرين بالظفر . غير ان العربان الجزوعين حين عاينوا كل المدافع ونيرانها تمطر فوق روسهم وقد قتل منهم كام ندل فولوا الادبار منهزمين الى حيث القت رحلها . فبينما اهل البلد هاجمة بالضرب والصياح المهول على الشيخ يبرق وكاد ان العسكر الذين بوجوههم يكسرونه ، والا بفرقة من العسكر استدركت ونزلت من بوابة المدعوة بوابة الزغار وطبقت على العصاة من خلفهم واستداروا بهم حد السيف والرصاص . فاذ عاينت اهل (البلد) الضيق الذي حلّ بهم لم يعد لهم مناصا سوى ان يولوا هاربين . وحينئذ اخذت العساكر المنصورة تقتل وتنهب

وتحرق حتى نهبت جميع تلك الصوابح واحرقت بعض بيوت واحرقت قناق عبدالله بابنسي من بعد ان نهبوه . ونزلت العساكر الى البلد منتصرة ولا عدنا نشاهد يومها مسلماً موجوداً . وحالا خرج امر من سعادة الباشا ان تفتح البلد ، فحينئذ استأمنت المسيحيين نوعاً وخرجت من خبايها . وحالا البس يوسف بك شريف زاده قايمقام حلب وابتدى يكبس بعضاً من بيوت الاسلام ويمسك اولئك الذين كانوا سبباً ومقداماً الى العصاة . فرمضان اغا ومحمد بابنسي اختبيا عند بعض القناسل فسمع سعادته بهم فارسل اخذهم وحبسهم مع عبد الله ، وحبس من اهل البلد نحو خمساية نفر . وثاني يوم الذي هو يوم الجمعة اصدر تنبيهاً في جميع البلد ان مال النصارى المنهوب جميعه يرتد . وقد تعين لاستلامه مأمورين من طرف الحكم والشرع لتحريره . فاتت المأمورون الى دار اسقفية الموارنة ، وابتدت من ذلك اليوم تتوارد الاسلام و يأتوا بالاموال الناهبينها . وجميع وجوه النصارى دايماً موجودة معهم والاموال كانت توضع بكنيسة الروم . وتعين حراساً مسيحيين يحرسونها . وقد اعطى سعادته مهلة خمسة عشر يوماً . فكان كل يوم يأتون المأمورون لعند السيد بولس من الصباح الى المسا يحررون الوارد من المنهوب ، ولم يزل يورد الى الآن . انما جميع الذي ورد الى الآن لا يبلغ من الغرش باره لانه حتى الان لم يرد من الاشياء الثمينة كالذهب والالماس شيئا سوى قليلا جداً بعض قناديل كنايس فضة مكسرة نحو اربعة آلاف درهم . مع انه لا يمكن تكون الفضة المنهوبة من النصراية اقل من ثمانية قناطير . وعلى هذا فقس ، لان لحد تاريخه قد انوزن النحاس كله الذي ورد فبلغ ثمانية عشر قنطاراً ونصف مع انه منهوب اكثر من ثلاثماية قنطاراً من النحاس . واما من الذهب والالماس والدراهم والاشياء الثمينة فلم يورد منها شيء كليا . فمدة الوعدة المعينة من سعادته قد انتهت وقد كنا نؤمل ان بعد الان يظهر ترتيب آخر ، الا انه لسبب اشاعة خبر عزل الباشا وتنصب غيره وارداً من اسلامبول وهو سعادة محمد باشا القبرصي الذي كان سابقا سفيراً من قبل الدولة في بلاد فرنسا وانكلتره .

وذلك ان يوم الجمعة الواقع في ٢٢ ت ٢ الذي هو ميعاد قدوم بوستة اسلامبول، فبينما الناس بانتظار البوستة واذا بالناس طفقت تترا كض والاسواق تسكر، حتى ان الاسلام الذين كانوا وقتئذ في الجوامع يصلون وقت الظهر فتركوا الصلاة وخرجوا يترا كضون . بل وافندينا نفسه خرج حالا من الجامع الكبير وساق جواده بسرعة كلية لاحقًا الشيخ يبرق . وابواب البلد كلها غلقت والعسا كر كلها ضبطت سلاحاتها بايديها ولم يكن أحد يعلم ماذا جرى . فالنصارى تزعم ان الاسلام قصدوا يفتكوا بالباشا و بالتالي بالنصارى ، والاسلام يزعمون ان الباشا قصده يمسكهم من الجوامع لاجل النظام . و بالنتيجة بقيت البلد نحو ساعتين مسكره و بحال الرعب . الا انه اخيراً امنت الناس حين رأت انه لم يصر حركة من أحد ، وسببه ان اثنين من العسكر تشاجرا في السوق وركضا وراء بعضهما فخافت الناس وطفقت تركض حيث يومها نقل من البعض ان في هذا اليوم مستعدين الاسلام يقوموا . وصودفت هذه الحركة فظنت الناس ان ما نقل اكيد . غير انه في هذا الغضون حضرت البوستة فسعادته امر ان لا يعطى لاحد مكاتيبه من اسلامبول ابداً حتى يوم الاحد ارسل عاد مكاتيب القناصل وظهر سابقا خبر عزله وتولي المشار اليه .

قبل تاريخه اتى كنجلير قنسل الانكليز لعند السيد بولس مطران الموارنة مسلما عليه واخبره عن لسان جناب القنسل عن الجوابات التي وردت من حضرة ايلجي الانكليز باسلامبول عن ما توقع بحلب فيخبره هكذا: انه حين تلوت مكتوبك تاريخ ٩ ت ا فحصل لدي غم شديد وحزن كلي. فحالا توجهت بنفسي لعند سعادة الصدر الاعظم واخبرته جميع ما صار بطرفكم . فسعادته ايضا انغم لذلك. وطلبت من سعادته رسميا اولا حفظ وصيانة ليس الانكليز والاورو باليه الموجودون بحلب فقط، بل وعموم المسيحيين ايضاً الذين قد فقدوا الامان كلياً على دمهم وما لهم وعرضهم . ثانيًا مقاصرة شديدة لكل اولئك اصدروا هذه الفتنة . ثالثًا استرجاع الاموال المنهوبة جميعها . اوعدنا بهذا جميعه ومن ثم فقد تجهز من اسلامبول عسا كر وتعرّف الى سر عسكر الاناضول

في تجهيز عساكر من طرفه ايضاً لحلب وان العساكر توجهت بحراً من المحروسة . وجناب الايلجي ارسل حالا فابور انكليزي الى اسكندرونه ، ويعرف لجناب القنسل ان ألفابور المرقوم مرسول على امركم لكيما ان كان ترغبون انتم ام من يرغب من المسيحيين يسافر لطرفنا ام لاي محل كان فهو تحت اشارتكم

ثم قبل تاريخه سعادة زريف باشا ارسل من حلب الى اسلامبول مايتين وعشرين نفراً من العصاة مقيدين بالحديد والحبال وارسلهم بحراً حيث بلغنا وصول فابورات الدولة مع العساكر الى اسكندرونه فمن ثم فمباشرين الى الحكم في حلب في تفريغ اماكن شتى لاجل نزول العسكر بهم . يوم الثلاثاء في ٢٦ ت ٢ توجه بعض من وجوه البلد لملاقاة سعادة افندينا الجديد الذي بلغهم خروجه لاسكندرونه وحتى الآن لم يدخل حلب فالظن انه مرافقاً العساكر وقد تهيأ لسعادته السرايا لنزوله بها

يوم الاربعاء في ٢٧ ت ٢ حضر ظهورات من اسلامبول . وقيل انه لم يوجد معها سوى مكتوباً واحداً لباشة العسكر كريم باشا مديحاً له من الدولة على مجاهدته في الحرب ومكتوبا للباشا الجديد حيث بساعتها توجه من حلب ظهورات الى اسكندرونه . يوم الخميس في ٢٨ ت ٢ افندينا زريف باشا طاب من المامورين على تسليم المال قايمة في علم المال الذي ورد حتى الآن كل صنف بمفرده اقتضى ان المامورين في هذا اليوم مسرعين بعدد (بعدّ) كل شيء وتحريره بدفتر جديد حسب طلب سعادته

فهذا ما انتهى الينا ملخص ما توقع بمدينة حلب حتى اليوم الذي هو الجمعة في ٢٩ ت ٢ سنة ١٨٥٠ (هذا يدل على تاريخ كتابة هذه الرسالة)ومن كون قد تأخر ارسالها (الى البطريرك ؟)لزم تحرير ما جد بعد ذلك فنقول :

انه وان يكن في هذه المدة قد حصل الامان ، والبلد فتحت كالعادة والناس طفقت تباشر اشغالها ، الا ان العصاة لم يزالوا متظاهرين ويدورون اجواقا اجواقا مسرورين حيث انهم زعموا ان ما تم حتى الآن فهو كافي ، وان الحكم ما عاد

يضايقهم اكثر من ذلك. ومن ثم فلم يعد يوردشيء من اموال المسيحيين، والمصالحة اخذت في البرود وصاروا الاشقياء يشيعوا اخبار ان عزل الباشا هو لانه احرق صوايحهم وسمح بنهب اموالهم، وان افندينا القادم مأمور بتعمير محلاتهم وما اشبه ذلك من الخرافات .

فيوم السبت في ٣٠ ت ٢ حضر من طرف خربوط نحو الف عسكري بياده وخياله . ويوم الاحد اول كانون اول خرجت الاعيان كلها والباشاوات الموجودة مع العسكر المجموع بحلب جميعه لملاقاة الباشا الجديد . ووقت الظهر شرف داخلاً مدينة حلب باحتفال عظيم مصحوبا باربعة آلاف عسكري واربع مدافع ، ونزل اولا في قشلة الشيخ يبرق وضربت له المدافع . وحال وصوله طلب عبد الله بابنسي فاتوه به . فسأله ما هذا الحال والفساد الذي اجراه ، وامر عليه حالا ان يوضعوه في الجنزير الحديد وارفاقه كلهم . فحالا غللوهم بالجنازير الثقيلة ، وبعد ساعتين نزل الى السرايا المعدة لسعادته وضربت له المدافع مرة ثانية

فثاني يوم الذي هو الاثنين ثاني ك ١ استدعى الاساقفة والتجار واعيان البلد ومشايخها لاستماع فرمانه العالي. فاجتمع الجميع في السرايا واجتمع خلق كثير وعساكر ورؤساهم مع الوزير ، وشرعوا بقراءة الفرمان وانطلقت المدافع كالعادة . وبعد نهاية تلاوة الفرمان ابتدى سعادته يخاطب الجميع قائلا :

ان الدولة العلية أدامها الله اذ بلغها العصاوة التي حدثت بحلب فارسلتني لكيما اضرب البلد واطيعها ، لكن حيث رايت ان الامر قد انتهى وكل شيء اخذ حده غير ان العصاوة لم تزل كامنة باطنا وان يكن بالظاهر قد زالت فيقتضي اذاً ان اتمم الارادة السنية في اربع قضايا وهي : اولا ترجيع اموال الرعية ثانيا ترجيع السلاح الذي نهبته العصاة من شونة الدولة يوم قومة البلد . ثالثا تأديب العصاة الذين فعلوا هذا الجرم القبيح . رابعا اخذ النظام من اهل البلد . واخذ خطاب مستطيل يوضح جرم الذي اجرموه اهل حلب وكم انه امر شنيع وشق جداً على مولانا السلطان

اداماه الله ، حتى ما عادت عيناه تذوق الرقاد من عظم الغم الذي حلّ به . وحينئذ امر بهاء الدين افندي قدسي زاده ؟ ان يرفع الى السجن مع العصاة ، واذ ابتدى ان يعتذر ويبرر نفسه وطلب من سعادته ان يحقق عليه . فاجاب سعادته ان الدولة امرتني برفعك وارسالك مع العصاة . وللوقت سحبته العسكر من المحفل واخذوه الى الشيخ يبرق محبوساً مع المذكور حظهم . ثم التفت سعادته الى الاساقفة مخاطباً لهم ببشاشة ومعزياً لهم عما اصاب رعاياهم فوعدهم ان كل ما فقدوه هم ورعاياهم سيرجع كالشي كالسابق ، وان لا ينغموا ولا يفتكروا بشيء سوى يقدموا الادعية لدوام حياة مولانا عبد المجيد خان حفظه الرحمن . وطلب منهم ان يحرروا دفاتر الاشياء المنهوبة للرعايا ويقدموها لسعادته ، وان ينتخبوا من كل طايفة واحداً يكون ذا فطنة ودراية ليكونوا اعضاء في المجلس العالي ، وانصرفوا الجميع . وحينئذ نبهت رؤساء المسيحيين على رعاياهم ان يحرروا قوايم منهوباتهم وثقلت ذمتهم تحت القصاص الكنايسي ان لا احد يتعدى بتحرير شيء زايد عما فقد ، وابتدت تقدم دفاتر الرعية كل الى ريسه

فيوم الثلاثاء في ٣ ك ١ ذهبت الاساقفة كلهم سامت على سعادته وقد استقبلهم بكرم ولطف جزيل ، وكان يخاطبهم بوجه بشوش تارة بالتركي وتارة عربياً وافهمهم انه مهتم جداً في تتميم الارادة السلطانية التي هي حصولهم بالطمانينة والرفاهية وان كل شيء يتم حسب مرامهم . وخرجوا من عنده شاكرين افضاله وممنونين منه بغاية ما يكون ، حيث بالحقيقة الحكمة التي ظاهرة منه لم يسبق لها مثيل والاخلاق والحقانية المتصف بها ما شوهدت بغيره ، ونسأله تعالى ان لا يحرمنا وجوده .

وفي هذا اليوم ارسل بيلوردي قرىء في المحكمة على الاسلام ان يسرعوا برد اموال الرعية . ورجعت المأمورون المعينون لتحرير وضبط الاموال الواردة الى عند السيد بولس مطران الموارنة ، وطفقت من ذلك اليوم تورد من الاسلام الاموال المنهوبة . وسعادته امر المأمورين ان كل يوم يحرروا قايمة بعلم الوارد

في ذلك النهار و يعرضوها على سعادته ليحيط علماً بالوارد . وفي هذا اليوم توجه من حلب مصطفى زريف باشا واليها القديم الى اسكلة اسكندرونه ليسافر مع القابور الى المحروسة . نسأل الله ان يلطف بالبلد التي عتيد ان يتنصب عليها انكان عاد يحصل على منصب آخر

يوم الاربعاء ٤ ك ١ استدعى سعادته مختاري المحلات جميعهم الى السرايا واوقفهم جميعهم في وسط السرايا ، ثم اتت الف عسكري نظام ووقفت بسلاحاتها ثم اتت اعيان البلد ووقفوا كلهم في ناحية منها . ثم خرج سعادته ومعه وزيرين من باشاوات العسكر ركبوا على خيلهم ووقفوا في نصف السرايا . وللوقت امر سعادته ان يأتوا بالاشقياء واذا بالاشقياء مقبلين . وهم عبد الله بابنسي وابن عمه محمد وبهاء الدين افندي وعمر ابن عيسى ورمضان واثنين آخرين وكلهم راكبين على كدش وبغال وعلى صدورهم الواح محرر عليها « هذا جزاء من يعصى السلطان و يفسد ممالكه » و بارجلهم قيود حديد من تحت بطن الدواب . فاوقفوهم مقابيل مشايخ الحارات ، والتفت سعادته وخاطب المختارين قايلاً : انظروا الى هؤلاء الاشقياء الذين لا نعرف هل هم ارفاض ام يزيد (؟) ام مجوس . وطفق سعادته يخاطب المختارين ان يعتبروا كم يكون عظيما القصاص الذي ينزل بمن يعصى الملك . ووقتئذ طقت طبول العسكر وخرجوا من السرايا وفي وسط العسكر خرج المذكورون واخذوهم هكذا الى اسكلة اسكندرون ليرسلوا الى اسلامبول . ثم بعد ذلك صعد سعادته الى قصره وامر ان يحضروا المختارين كلهم فاحضروهم بين يديه واقفون ، فقام سعادته ووقف في وسطهم وابتدى يخاطبهم عن سوء افعال اهل حلب ، وان العقلاء واهل العرف من الاسلام ليس هم مبررين من هذا الذنب ، لانهم كان يمكنهم ان يردوا الجهلاء عن غيهم . اخيراً نبه عليهم على ترجيع مال الرعية لانهم هم يعرفون الناهبين . فالان الذي يرد الاخذه لاجناح عليه . ولكن فيما بعد ان بقي عند احد من الاسلام ذرة من مال الرعية ، فالذي يوجد عنده مع مختار محلته يمسك الاثنين من اذانهم ويخرج

بارواحهم من اذانهم . وامر ان يذهب مع كل مختار عسكريين مباشرين عليه في التحصيل . وخرجوا من امامه الجميع خايفين وصار كل منهم يجتهد في ان يخرج من محلته المال المنهوب خشية من القصاص المهدد به . وابتدت تورد الاموال شيئا فشيء. يوم الجمعة تقدمت دفاتر المنهوبات من الرؤسا الى سعادته وبلغ مجموعها ستة وعشرون الف كيس وكسور عدا الحريق والخراب

وحيث بلغ سعادته ان بعضاً من المذكورين هربوا ارسل اخباراً الى جميع البلاد المجاوزة ان اذا وجد حلبي مسلم هارب من حلب فليمسك ويرسل مقيداً لحلب . ولقد انمسك من حمص وحماه اثنين من الزور باوات وصباح تاريخه يحضروا لحلب

فهذا ما انتهى بنا تلخيصه لحد غاية يوم الاحد الذي هو ٨ كانون اول سنة ١٨٥٠ .

— انتهى —

الدخان اللبناني في مصر

ذكرنا في الجزء الاول من هذه السنة (ص ٥٤)ان الحكومة المصرية اتفقت مبدئياً مع حكومة الانتداب في سوريا ولبنان على ان تعفي الدخان اللبناني من الضريبة الاضافية الموضوعة على اصناف الدخان غير المرغوب فيها وان تعامله كالدخان التركي واليوناني لانه لا يقل عنهما جودة و يزيد عنهما ثقلاً فلا يمكنه ان يزاحمهما. والحكومة المصرية تسعى حثيثا في تنشيط تجارة السجاير وتحسينها لانها تعود عليها بارباح طائلة .

وقلنا اذا رغبت المفوضية في ان تفتح للبنان باب مورد عظيم فما عليها الا ان ترفع عن صادرات دخانه الرسوم التي اثقلته بها مصلحة الريجي الاجنبية . فيتمكن

كل مزارع لبناني ان ينتج من مساحة صغيرة ربحًا جزيلا يكفيه مصروفات السنة كلها فيرتبط في الارض ويستغني عن المهاجرة ، وتنهض البلاد من حضيض الفقر والذل .

وقد كانت مصر في الجزء الاخير من القرن السابق اكبر مستهلك للدخان اللبناني وما زالت في موقعها الجغرافي اكبر سوق لتجارة هذا الصنف ، على شرط ان تزال من امامه العقبات التي وضعتها الريجي في سبيله .

ورغبة في ان يلم القراء بهذا الموضوع الحيوي للبنان وسوريا رأينا أن نلخص تاريخ الدخان اللبناني في مصر واسباب رواجه وانحطاطه فيها . وقد اعتمدنا في ذلك على مقالة نشرها حضرة الاديب يوسف افندي الجميل مدير شركة الدخان في بكفيا ، في المجلة الفينيقية La Revue Phénicienne (ص ١٤ من سنة ١٩١٤)

في سنة ١٨٤٦ بلغت صادرات الدخان اللبناني ١٦٫٠٠٠ كيلو ، وحسب المسيو جيز قنصل فرنسا في بيروت صادراته الى مصر في سنة ١٨٥٢ ٢٥٦٫٠٠٠ كيلو وفي سنة ١٨٦٢ ٥٦٦٫٠٠٠ كيلو

واستمرت هذه التجارة في نمو مضطرد سنة فسنة متمشية مع زيادة استهلاك هذا الصنف في مصر . وظل لبنان المورد الاكبر لها الى سنة ١٨٨١ . وكان فضلا عن ذلك يكفي حاجة البلاد المجاورة له كبيروت ودمشق وحلب . وراج الدخان اللبناني في اسلامبول نفسها وكانت له الافضلية في القصور السلطانية التي كانت تستنفد كميات كبيرة من اصنافه ذات الرائحة الذكية حتى بعد سنة ١٨٨٣ .

ولطالما تعطرت سقوف الحرم السلطانية المذهبة بدخان « البلمند وزبوغه » بعد ان مرّ بافواه سلطانات آل عثمان .

واتسعت هذه التجارة ، خصوصًا في مصر ، بين سنتي ١٨٧٢ و ١٨٨٣ وهي المدة التي كان فيها متوسط المبيعات مليونًا ونصف كيلو .

وبلغت صادرات الدخان اللبناني الى دمياط والاسكندرية أوجها في سنة

١٨٧٧ فتجاوزت مليوني كيلو . وسبب ذلك ان الحكومة المصرية في اواخر سنة ١٨٧٦ ، وضعت على الدخان اللبناني الرسم المعروف « بالدخولية » وهو عشرون غرشاً مصرياً ذهباً على كل كيلو . وكان كبار تجار الدخان اللبناني في مصر قد أحسوا بهذه الضريبة فاستجلبوا كل ما كان مخزناً من هذا الصنف وما كان مجهزاً من محصول تلك السنة الجديد دون ان يتسع الوقت لمصدّريه لان يفرزوه ويرزموه . فلما اعلنت الضريبة كان معظم البضاعة اللبنانية قد دخل مصر . ثم سمحت الحكومة بمهلة قصيرة قبل تنفيذ هذا الرسم وكانت الباخرة « تيجر » لشركة المساجري ماريتيم آخر البواخر التي اقلعت من بيروت ورست في ثغر الاسكندرية . فشحنت عنابرها حتى رأسها بفضلات الدخان اللبناني واكثرها قد حضّر بعجلة وشحن ملفات مصنوعة بغير اتقان

ولم يظهر تأثير هذا الرسم في صادرات السنين التالية لان المبيعات ظلت في نجاح حتى سنة ١٨٨٣ . وهذا يخطىء رأي الذين ينسبون الى هذه الضريبة سبب انحطاط تجارة الدخان اللبناني في القطر المصري . لان هذا الرسم الذي تقرر في سنة ١٨٦٠ وزيد في السنين التالية لا يزال موضوعاً على جميع اصناف الدخان الاجنبي الوارد الى مصر من كل الجهات . والمعروف ان تجارة الدخان في مصر عوضاً من ان تتقهقر بلغت شأواً عظيما لاتساع نطاق صناعة السجاير فيها .

وقد رأينا الدخان اللبناني عند مجيئنا الى مصر سنة ١٩٠٢ يباع في الاسواق باسم الدخان «الكوراني» نسبة الى الكوره في سواحل لبنان الشمالي ، وكان فلاحو مصر يفضلونه على بقية الأصناف الاخرى

فعلينا اذاً ان نفتش عن سبب انحطاط هذه التجارة في اتساع زراعة الدخان في تساليا (اليونان) وتنظيم تجارة الدخان اليوناني تنظيماً محكماً قوياً وتحسين اصنافه في بلاد اليونان وفي مكدونيا والاناضول .

ولكن الضربة القاضية جاءت من الرسم غير المشروع الذي وضع على الدخان

اللبناني في الثغور التي كان يصدّر منها اي في طرابلس و بيروت وصيدا . لان لبنان لم يكن بعد استعاد موانئه الطبيعية . و بينما كانت الحكومة اليونانية تشجع بكل الوسائل الممكنة تصدير دخان بلادها الى مصر كانت الريجي العثمانية تفرض رسماً قدره ثلاثة غروش ذهبية على كل كيلو دخان يصدر من الثغور العثمانية .

و بما ان متوسط سعر الكيلو من الدخان اللبناني كان فرنكين ، فيكون الرسم الذي كانت تحصله هذه الشركة الاجنبية قد بلغ ثلث قيمته التجارية . هذا فضلا عن المعاملات المزعجة والمكلفة التي وضعت لعرقلة تصديره الى الخارج .

كل هذه العوامل اثرت كثيراً على تجارة الدخان اللبناني والسوري فتقهقرت امام مزاحمة الدخان الاجنبي. واخذ اللبنانيون يهملون زراعته لانحطاط سعره، وسبّب هذا الاهمال هبوطاً آخر في تجارته وسعره . واستفاد الدخان اليوناني من هذه الحالة فاتسع نطاق تجارته،وهو يستهلك الآن بكميات هائلة في اسواق مصر. مع ان الاصناف التي تزرع من هذا الدخان في البلاد اليونانية القديمة هي اقل جودة من الدخان اللبناني ، ومع كل الجهود التي بذلت لتحسينها لايزال فيها طعم التراب الذي يمجه الذوق السليم . وهذا هو السبب الذي جعل لدخان مكدونية والاناضول التفوق على كل اصناف دخان الولايات التركية لما يحويه من المزايا في الطعم والرائحة، وقد فاز بالافضلية في مقاطعات مصر الغنية .

وهذا ما حمل حكومة الاتحاديين الاتراك على تخفيف رسم الريجي عن اصناف الدخان الصادر الى مصر فاصبح من ذاك الحين غرشاً ونصف غرش ذهباً . وكان الاحرى بهم ان يلغوا هذا الرسم بتة .

ولم تكتف ادارة الريجي من قتل تجارة الدخان اللبناني في مصر بل سلبته بالطرق القانونية المنظمة كل زبائنه في الولايات المجاورة للبنان، وكانوا عدداً لا يستهان به .

ولم يكن هذا كل الشر بل انها توصلت في سنة ١٩٠٣ الى عقد اتفاق خاص مع الحكومة اللبنانية حظر بموجبه تخزين وصنع الدخان اللبناني على مسافة كيلو متر

مستدير وراء حدود بيروت ، وكان هذا الاتفاق نتيجة مجاملة المتصرفين اللبنانيين واعضاء مجلس الادارة اللبناني الذين باعوا مصلحة بلادهم ببضع دريهمات نفحتهم بها ادارة الريجي . وبناء على هذا الاتفاق منع دخول الدخان الاجنبي لبنان فحرمت صناعة الدخان اللبناني مزية « التوضيب » اي المزج بالاصناف الاخرى ، وهي من اكبر العوامل في تحسين صناعة الدخان .

ولم يفز لبنان بغير جعل تافه تقدمه له ادارة الريجي كتعويض من هذه الخسارة الجسيمة وقد جعلت بموجبه حكومة لبنان خادمة واسيرة لها . لان الجندرمة اللبنانية مع قلة عددهما توزعت على كل حدود لبنان وشواطئه ، واصبح ربع عددها مقيد بمصلحة هذه الشركة بدون مقابل بل ضد مصلحة البلاد نفسها .

وفي هذه المدة عمدت الشركة الى وسائل حاذقة وغير مشروعة فنشرت دخانها وسجايرها في كل جهات لبنان .

وكان هذا الاتفاق يتجدد كل خمس سنين فاصبح احتكاراً مستتراً الى اوائل الحرب الاخيرة .

وقبل ان نختم هذه العجالة لا يسعنا الاغضاء عن التنويه بذلك الرجل العظيم واللبناني الصميم المثلث الرحمات البطريرك يوحنا الحاج الذي كان اول من وقف في وجه هذا الاحتكار وحظر استعمال دخان الريجي في دائرته . فوفر على خزينة الكرسي البطريركي مبالغ تذكر وفتح عيون اللبنانيين نحو واجبهم ومصلحتهم في مقاومة جشع الاجنبي واستبداده في بلادهم . فانبثت هـذه الفكرة الصالحة رويداً رويداً ودبت الحماسة في قلوب اللبنانيين فاخذوا يصادرون دخان الريجي ويحلون محله الدخان اللبناني . ثم استجلبوا بذور اجود الاصناف الرائجة في مصر كالبقجة والسمسون والناتورال فزرعوها في جبلهم وجلبوا الاختصاصيين لتنشيفها وتوضيبها ومزجها واقاموا لها المعامل في كل مراكز الجبل المهمة فزاحموا دخان الريجي وطردوه رويداً رويداً من لبنان القديم والمقاطعات الجديدة التي ضمت اليه بعد الحرب الاخيرة وهي جزء منه . واملنا ان يدنو اليوم الذي فيه تلغى هذه الشركة الاجنبية من كل

راضي لبنان وسوريا وتنشط الحكومة زرع الدخان الوطني ونشره في طول البلاد وعرضها واصدار كميات كبيرة منه الى الاقطار المجاورة وخصوصاً القطر المصري السوق الطبيعي والاكبر لهذه التجارة الرابحة «المحرر»

حوران وجبل الدروز

«على ذكر الثورة السورية»

بقلم الشيخ بولس مسعد (تابع)

ومما يجدر بالذكر من امر هذا البناء التاريخي (دير ايوب) ان البعثة الأثرية التي ارسلتها حكومة تشكوسلوفاكيا الى حوران في صيف سنة ١٩٢٤ برئاسة الاستاذ هروزني العالم الأثري الشهير والاخصائي في علم الكتابات الحثية ذات الزوايا التي استكشف مثال منها في بوغاز كوي سنة ١٩٠٧ اتخذت قرية الشيخ سعد قاعدة لاعمالها وعثرت بآثار نفيسة لها شأن خطير واهمية كبرى عند علماء الآثار منها تمثال اسد ضخم من الحجر الاسود يستدل من شكله انه من الطراز الحثي وحجر منقوش عليه اسم رعمسيس الثاني المعروف عند مؤرخي اليونان باسم «سيزوستريس» وهذا ما حمل البعثة على المضي في اعمال النقب حتى عثرت على عاديات ترجع الى نحو اربعة آلاف سنة على مثال العاديات التي وجدت في جبيل وكفر جره ومشرفه

اما دير ايوب الذي نحن في صدده فقد اثبتت البعثة التسكوسلوفاكية انه كنيسة أنشئت في عهد بني غسان اقيمت على انقاض هيكل يوناني قديم وان هذا الهيكل اقيم على انقاض معبد اقدم منه يرتقي الى عهد العموريين اصحاب البلاد الاصليين ويستدل من ابحاث البعثة على ان رعمسيس نصب مسلة في هذا المعبد وقد تمكن الاستاذ هروزني من قراءة الكتابة المنقوشة عليها وعرف انها تشير الى تقدمة من

فرعون الى اله العموريين « ارخان دي سبتانتريون » وفي ذلك ما يدل على ان رعمسيس الثاني اتخذ العموريين انصاراً له وقبل ان يسير الى الشمال لمحاربة الحثيين عرج على باشان واقام هذا الاثر التذكاري في معبد اله العموريين املاً منه ان ينصره على اعدائه .

وقد وجدت البعثة في اسفل هذا الهيكل اساس بناء ضخم مؤلف من احجار سوداء كبيرة مرصوفة رصفاً محكماً يستدل من وضعها ان البناء بقية من قصر امراء العموريين الذين عاصروا رعمسيس الثاني . وهو مبلط بالقرميد على مثال الابنية البابلية وهذا ما يدل على ان بلاد باشان لم تقتصر في علاقاتها الخارجية على الاتصال بمصر بل انها كانت على صلة ببلاد الكلدان ايضاً وقد اقتبست عنها شيئاً من طرق البناء

وقد افضى البحث والتنقيب ببعثة الاستاذ هروزني الى العثور تحت بلاط القصر على اهراء فيها سلال من الحبوب تقادم العهد عليها فاصبحت سوداء اللون ويغلب على الظن انها ترتقي الى نحو خمسة وثلاثين قرناً وربما كانت حين العثور بها لا تزال محتفظة بمادتها الحيوية ، وهو ما لا يستغرب بعد ان اثبت الاخصائيون ان الحبوب التي وجدت في بعض مدافن الفراعنة بمصر لم تفقد مادتها الحيوية مع انها ترتقي الى نحو اربعين قرناً .

ولم تقف البعثة عند هذا الحد بل مضت في عملها تحت القصر الى ان وجدت ثلاثة نواويس من الحجر في احدها طابع من الجص عليه رسم سمكة

وقد استخرجت من بين الانقاض التي تقبت فيها بعض قطع اثرية منحوتة منها قطعة تمثل فارساً على رأسه خوذة ناتئة وقطعة اخرى تمثل اسداً هائجاً وهي من آثار الحثيين . وهذا ما يؤخذ منه ان الحثيين تسلطوا على بلاد باشان واخضعوا العموريين لسلطانهم يوم كانت هذه البلاد داخلة في منطقة نفوذ بابل .

ويستدل من الكتابات الاثرية التي وجدت هناك على ان العموريين استعملوا

الاقلام التي استعملها الفينيقيون والعبرانيون والموابيون لانهم ينتسبون جميعاً الى اصل واحد . وقد وجدوا حجراً عليه كتابة تدل على ان العموريين اتخذوا منذ القرن الثامن ق . م القلم الكنعاني .

وفي جملة التحف الأثرية التي استخرجتها البعثة التشكوسلوفاكية من حفريات الشيخ سعد عدة تماثيل كاملة ونصفية منها ما يرتقي الى عصر اليونان ومنها ما يعود الى العصر الروماني . وهذا علاوة على ما هنالك من الكتابات اليونانية واللاتينية التي تدل على ما كانت عليه بلاد باشان سهلها وجبلها من الحضارة والعمران في عصر اليونان والرومان وهو ما يستدل عليه ايضاً من الابنية الأثرية العظيمة التي لا تزال آثارها ماثلة للعيان في كل بقعة منها تحدث الغادي والرائح بمجدها التليد وحضارتها العريقة

حوران في العصور الحديثة

اما بعد الاسلام فقد جرى على بلاد حوران ما جرى على سواها من اعمال الشام من حوادث الدهر ومفاجآت الزمان ومرّ على هذه ما مرّ على تلك من ايام سعيدة او مشئومة . ويستدل من الكتابات العربية القديمة التي وجدت على اطلالها ان آخر عهدها بالرقي والحضارة كان في القرن الثالث عشر حين استعادت بعض ما كان لها قديماً من الشهرة . ثم اندرست معالم نهضتها وباتت نسياً منسياً الى القرن التاسع عشر حيث رسخت قدم الدروز فيها واشتد ساعدهم في جبل حوران وتملكوه ورفعوا لواء سلطانهم على ربوعه . وظهر منهم غير بيت من البيوت الكبيرة نظير بني الاطرش وبني الحلبي وبني عامر وآل ناصر وآل عزام او العوامزة وهم من اشد طوائف الدروز بأساً ودروز عنز وزيسبين . فتقاسموا البلاد وجعلوها مناطق نفوذ لكل بيت او طائفة منهم منطقة قائمة بذاتها . واصبحوا هم اصحاب الامر والنهي فيها وليس للدولة العثمانية في هاتيك الاصقاع الا سلطة اسمية ربما كانت في بعض الاحوال اقل شأناً واخف وطأة من السلطة التي كانت لها في جبل لبنان الذي كان يومئذ

متمتعاً بالاستقلال الاداري تحت سيادتها وبضمانة الدول الاوربية السبع الموقعة لنظامه الاساسي . واهم ما يجدر بالذكر من مناطق النفوذ في هاتيك البلاد ما هو واقع منها في دائرة جبل الدروز . وتسمى هناك مقارن او مفارق . فالنفوذ في المقرن الشمالي وهو ما يلي اللجاه لجهة الجنوب للعوامزة وفي اقصى الشمال للمناويش . وفي المقرن الجنوبي او القبلي وبعض المقرن الشرقي وهو واقع في ذروة الجبل لآل الاطرش ومنهم زعيم الجبل الاكبر وكان الى سنة ١٩٢٣ سليم باشا الاطرش وقد جعل اميراً على الجبل الى ان ادركته منيته فتنازع كبراء آل الاطرش الزعامة ردحاً من الزمان حتى نشبت نار الثورة وآلت الزعامة الى سلطان باشا الاطرش حتى اليوم. والنفوذ في المفرق الغربي لآل هنيدات وقصبته المجدل . وهناك بيوت اخرى تتفاوت مراتب نفوذها في الجبل بتفاوت سطوة كل منها وثروته وعدد رجاله كآل فخر ويقال لهم الفخور وآل عزام المشار اليهم آنفاً وآل سلام وآل درويش وغيرهم

وللدروز في جبل حوران وقائع مشهورة تؤيد ما هو مأثور عنهم من البسالة والاقدام . واخص ما يذكر لهم من ذلك ما وقع لهم مع ابرهيم باشا الفاتح المصري الشهير . ذلك انه لما اجتاح بطل مصر الديار الشامية في سنة ١٨٣١ واكتسح الاناضول شعر بالحاجة الى الجند لسد الفراغ الذي وقع في صفوف جيشه على اثر المعارك الهائلة التي خاض غمارها ولا سيما معركة حلب (يوليو ١٨٣٢) التي بيعت فيها الارواح بيع السماح ومعركة بوغاز كيليكيا ومعركة قونية (دسمبر ١٨٣٢) وغيرها من المعارك التي قاتل فيها الجيش العثماني وانتصر عليه وطارده حتى اقصى حدود الاناضول ومزقه تمزيقاً وكاد يقضي على استقلال الدولة العثمانية ويوردها موارد الهلكة والدمار لولا توسط الدول الاوربية واتفاقهن على اخراجه من بلادها عنوة (١٨٤٠) وكان ما كان مما هو مسطور في تاريخ مصر الحديث . فاراد تجنيد دروز حوران ووادي التيم (١٨٣٥) فابوا الاذعان وانحاز اليهم العرب وقاتلوا والي دمشق وكسروه وشد ازرهم شبلي العريان البطل الشهير فاستفحل امرهم وانزلوا

وانزلوا بالجيش المصري خسارة فادحة فاضطر ابرهيم باشا الى مقاتلتهم بنفسه ودارت رحى الحرب في اللجاه فلم يطق الوقوف امامهم لوعورة المسالك في هاتيك البقاع ومناعة المعاقل الطبيعية التي اعتصموا بها وهلك كثيرون من جنده مع عدد من نخبة ضباطه وقادة جيشه بينهم محمد باشا الفريق . ثم اعاد الكرة عليهم وحاول دخول اللجاه ثانية ففشل وعهد الى الامير خليل بن الامير بشير شهاب الكبير امير لبنان — وهو يومئذ صديقه الحميم وحليفه الامين — في قيادة الجيش المنوط به امر اخضاعهم فوفق هذا الى كسر شوكتهم واكراههم على القاء السلاح بعد معارك حامية ليس هذا مقام التبسط فيها . واعجب الفاتح المصري ببسالة عميدهم شبلي العريان فعهد اليه في قيادة كتيبة من الفرسان

بعد مذابح سنة ١٨٦٠ — وفي سنة ١٨٥٠ زحف القبرسلي باشا على بلاد الدروز يريد فتحها فعجز دونها وارتد عنها خاسراً يجر اذيال الخيبة والفشل . ومن ذلك الحين استفحل امر الدروز وازدادوا جرأة وقوة .

ولما وقعت المذابح في لبنان سنة ١٨٦٠ هاجر الى حوران كثيرون من دروزه فراراً من العقاب الذي كان ينتظر ان يحل بهم هناك فاشتد ساعد الحوارنة بهم وازدادوا قوة وشجاعة فكثرت مطامعهم وتغلب عليهم روح الاثرة وتطالت اعناقهم الى ما كان حتى ذلك الحين عزيز المنال عليهم فانطلقوا الى السطو وشن الغارة على مواطنيهم من البدو والمسيحيين وانسوا من ضعف الدولة العثمانية وعجزها عن تأديبهم وفساد ضمائر موظفيها ما زادهم طمعاً في جيرانهم واستصغاراً لشأنهم . وما برح هذا دأبهم حتى استفحل امرهم وتفاقمت الحالة من جراء اعمالهم واشتداد وطأتهم على مواطنيهم . كل ذلك والدولة لاهية عنهم متشاغلة عن شئونهم بما كانت منصرفة اليه وقتئذ من معالجة المشكلات الداخلية والخارجية التي نشأت عن انقلاب سنة ١٩٠٨ فكان سكوتها هذا مدعاة لتماديهم وباعثاً لهم على تجاهل امرها واستضعافها والاستهزاء بسلطتها .

حملة الفاروقي — وآخر ما اقدموا عليه من المنكرات الدالة على مبلغ الغرور الذي

استأسر نفوسهم وارخى حجاباً كثيفاً على بصائرهم كان في سنة ١٩١٠ حيث غزوا قريتي المعرّبة وغصم وفتكوا بمعظم السكان من مسلمين ومسيحيين ونهبوا ما فيهما من غلال ومتاع، فعظم الامر على الدولة واشفقت إن هي عمدت الى معالجة الداء بالمسكنات المأثورة عنها ان يتفاقم شره وتندلع السنة الفتنة الى انحاء اخرى من البلاد فتلتهم نارها الاخضر واليابس وقد تعجز عن قمعها لما هي منصرفة الى معالجته من الشئون الهامة الكبرى التي كانت تستلزم وقوف جيشها الوطني على قدم الاستعداد دفعاً للطوارئ، والمفاجآت عن حاضرة السلطنة فتستهدف لاضاعة هيبتها وفقدان سلطانها في هاتيك البلاد. فرأت من ثم ان تبادر الى خنق الفتنة في مهدها واجتثاث الشر من اصوله قبل ان يستفحل امره وتتسع دائرته وجردت على جبل الدروز حملة عسكرية كبرى مؤلفة من اربعين الف مقاتل تحت قيادة سامي باشا الفاروقي الدمشقي الاصلي وكان رحمه الله من كبار قادة الجيش العثماني الذين يشار اليهم بالبنان ويعتمد عليهم في الخطوب والملمات. فوصل الفاروقي الى حوران في اوائل صيف سنة ١٩١٠ وجعل معسكره في درعا. وما لبث ان اجتمع لديه العدد الكافي من الجند والمهمات الحربية اللازمة حتى زحف على جبل الدروز من ثلاث جهات وشق طريقاً جديداً على طول ٣٥ كيلو متراً بين اذرع والسويداء وهو الطريق الذي سلكه في دخوله الى قلب الجبل وكشف مكامنه والاستيلاء على معاقل العصاة واستحكاماتهم. وقد تم له ما اراد من تشتيت شمل الدروز والتنكيل بالثوار ودك القوى التي جهرت بالعصيان بعد ان جرت له معهم وقائع دموية كثيرة قتل فيها من الدروز زهاء اربعة آلاف نفس ومن الجند عدد كبير لا يستطاع حصره. وتاريخ هذه الحرب حافل بالحوادث والمفاجآت وهو تاريخ طويل لا يسعنا الاحاطة به وبسط وقائعه في هذه العجالة. وحسبنا ان نقتصر على تلخيصه بكلمة موجزة وهي ان الدروز استبسلوا في هذه الحرب واستماتوا في الدفاع عن جبلهم المنيع وابدوا من ضروب الدهاء والشجاعة ما بات مضرباً للامثال. وكان الفاروقي نفسه في جملة

الذين اعجبوا بفعالهم وبما ابدوا من سعة الحيلة والبسالة في ما خاضوا من المعارك دفاعاً من معاقلهم وقراهم . ولولا الجهود العظيمة التي بذلها في هذه الحرب والحزم الذي ادار به رحاها والفطنة التي اتقى بها المكائد التي نصبت له فيها والدهاء الذي عالج به مفاجآتها والمشكلات التي عرضت له في خلالها — لعجز بلا شك عن الخروج منها ظافراً منصوراً ولعاد من حيث اتى يجر ذيول الخيبة والفشل .

وما كاد الفاروقي يفرغ من قمع الثورة حتى شرع في تجنيد الدروز . وقد جند منهم حتى شهر اذار (مارس) سنة ١٩١١ نحو اربعة آلاف نفس كما جاء في التقرير الذي قدمه الى وزارة الحربية . وجمع من الجبل بعد ان وضعت الحرب اوزارها زهاء ١٥ الف بندقية بين موزر ومارتين واحصى السكان فبلغ عددهم في أقضية السويداء وعاهرة ودرعا ٥١٥٧٧ نفساً . ووضع لائحة بالاصلاح الذي رأى ان يدخله على الجبل ورفعها الى المصادر الرسمية في الاستانة فصودق عليها ولكن الله لم يفسح في اجله ليشهد ثمرة عمله وكانت هذه الحرب آخر عهده في الجهاد من اجل وطنه ودولته فوافاه القدر المحتوم في تلك السنة نفسها وهو في ارض الوطن

اما القرى التي اشتركت في هذه الحرب او كان لها شأن فيها او صلة بموقدي نارها ولحقها من الخسائر ما لم يلحق سواها من القرى التي ظلت في معزل عنها فاولها قرى المقرن الجنوبي فان الضرر الذي أصيبت به هذه المقاطعة كان بليغاً . والشهباء وهي قرية كبيرة منيعة اتخذها الدروز معقلاً لهم وجمعوا فيها المؤن والذخائر فهاجمها الجيش وفتحها فتهدم جانب كبير من منازلها . وقريتا نجران وكفران وقد دمرتهما القنابل ودكت منازلها من اساسها . وريمه وخبرات وصلخد وعرمان فان سكان هـذه القرى جاهروا بالعصيان فزحف الجيش عليها ودكها بعـد ان نـكل بعدد كبير منهم .

ومن القرى التي شهدت الحرب وخاضت غمارها واكتوت بنارها بصرى الحريري وقنوات ومفعله وملح وام الرمان والمجيمر وسهوة البلاطة وكناكر والكفر وبصرى اسكي شام والخربه ومردك والعفينه وخبب وعتيل وام الزيتون والمجدل

والدر وسميع وداما وزخسيمه واذرع ودرعا ومتان والهويه والقريه وبكا وحوط ورساس وعرة والعانات وسهوة الخضر ومياماس الخ .

وبادرت عدة قرى الى تقديم الطاعة فلم يصبها ما اصاب غيرها من القرى التي ثبتت على المقاومة من مضار الحرب واوزارها .

وقد جرت معارك كثيرة اهمها المعركة الكبرى التي وقعت في وادي اللوى وقتل فيها عدد كبير من الدروز . ومعركة ابي طميس . ومعركة تل الحمراء الواقع جنوبي تكنة عاهرة ومعركة السويداء .

اما زعماء الثورة فقد اعتقل منهم نحو مئتي زعيم بينهم جماعة من آل الاطرش وقد جيء بهم الى دمشق فحوكموا امام المجلس العرفي وحكم على كثيرين منهم بالاعدام شنقاً ومنهم يحيي عامر وهو شاب شجاع قاد الدروز في واقعتي مفعله وقنوات ثم هالته كثرة الجند فلاذ بالفرار ثم قبض عليه . وذوقان الاطرش وهو الذي هاجم بجماعته وقومه بصرى اسكي شام . ومزيد عامر وهو من الرجال المعدودين . وابو طرودي المغوّش شيخ خلخله وقد هاجم الجيش غير مرة وهو بطل مغوار طويل القامة اسدي المنظر . وكان في ذلك الوقت في نحو الخمسين من عمره . ومحمد العلقاني شيخ قرية الثمره . وهزاع الحلبي شيخ قرية لاهته . وقد نفذ فيهم حكم الموت في شهر اذار (مارس) سنة ١٩١١ . والآخرون شنقوا في ما يليه من شهور تلك السنة ذاتها . فجاءت معاقبتهم وهم وجوه قومهم ومن كبار بلادهم من اكبر البواعث على اخلاد الجبل الى السكون وتأهبه لقبول الاصلاح واعتبار القبائل الضاربة حوله بمثله ونسجها على منواله في الاذعان لحكم الدولة والامتثال لاوامر الحكومة . ولم تقتصر الدولة على هذا القدر من العقاب فنفت كثيرين من زعماء البلاد وقد عرفنا منهم في مصر يحيي بك الاطرش من كبار آل الاطرش المعروفين جاءها باجازة مخصوصة من الباب العالي بعد توسط الانجليز في امره . ثم عاد الى حوران وتوفاه الله منذ بضع سنوات وعاد المنفيون الآخرون واستتب الامن في هاتيك الاصقاع وانصرف القوم الى اعمالهم

(لها تابع)

السوريون في مصر

بقلم الخوري بولس قرألي

الفصل السابع

دولة المماليك (تابع)

٣ — الدولة العثمانية ١٥١٧ — ١٧٨٩

دولة المماليك الثانية ١٣٨٢ — ١٥١٧ — قلنا ان قلاوون سلطان مصر اقتنى من الشراكسة عدداً وافراً واستخدمهم في الجيش ومصالح الحكومة. فقويت شوكتهم حتى تملكوا. واولهم الملك الظاهر برقوق الذي استظهر على تيمورلنك وارجعه عن سوريا.

وخلفه ابنه فرج ولم يقوَ على تيمورلنك بل فرّ من امامه الى مصر فخلعه المصريون وسجنوه في قلعة الكرك. فهرب منها بزي درويش وجاء الى قرية بشري شرقي طرابلس فاستقبله الموارنة بحفاوة واضافوه. ثم نزل الى دير قنوبين في الوادي واقام فيه مدة ضيفاً مكرماً. ولما رأى تيمورلنك مشتغلاً بمحاربة بيازيد التركي جمع مماليكه وغزا دمشق وفتح غيرها من مدن سوريا. ثم حضر اليه كمش بغا الحموي نائب حلب ومعه جموع وخيام واثقال كثيرة فقوي عليه فرج بن برقوق وزحف بعد ذلك على تركمان كسروان ونازلهم في جورة منطاش بزوق ميكائيل فقتل منهم الامير علياً واخاه عمر وجماعة كبيرة ونهب زوق التركمان. وفكر فرج بعد انتصاره بضيوفه اللبنانيين فاراد مكافأتهم واقام الشدياق يعقوب بن ايوب مقدما على بشري وكتب له بذلك صفيحة من نحاس، وعفى دير قنوبين من الاموال الاميرية وجعل له التقدم على جميع ديورة تلك الجهات. ثم قتل خارج اسوار دمشق. واخذ السلاطين المماليك يتعاقبون على مصر بسرعة حتى لم يكن احدهم يفوز بالمبايعة الاّ يهمّ رفقاؤه بقتله.

وفي عهد السلطان الاشرف قايتباي عظم شأن محمد الثاني العثماني وانتصر على الفرس حلفاء المصريين وعلى افرنج سوريا . ولما تخاصم ولداه انتهز قايتباي الفرصة واستولى على مدينتي ترسوس وأدنه في شمال سوريا، فتصالح المصريون مع الاتراك ثم وقع خصام بين السلطان سليم بن بيازيد واخيه كركور فلجأ هذا الاخير الى الغوري سلطان مصر فأنجده على اخيه . فغضب سليم وبعد ان افتتح مدن سوريا استظهر على جيش مصر وفارس المتحالفين وقتل الغوري في الهزيمة . وتابع سليم مسيره الى وادي النيل ونازل فيها طومان باي . فلم يستطع المصريون بالرغم من شجاعة قائدهم طومان باي ان يثبتوا امام مدافع العثمانيين وبارودهم فتقهقروا الى الروضة . فدخل سليم القاهرة وامعن فيها نهباً وقتلاً وحرقاً وتسلم القلعة . وبعد ان فاز من طومان باي بمعلومات وافية عن محصولات مصر وخراجها وادارتها شنقه . فانتهت به دولة المماليك الثانية ، واصبحت مصر من ذلك الحين احدى الايالات العثمانية كشقيقتها سوريا .

(راجع زيدان ج ٣ ص ٤٢ — ٦٤ والدويهي ص ١٣١)

مصر وسوريا في حكم آل عثمان ١٥١٧ — ١٧٦٣— بعد ان تم للسلطان سليم فتح مصر فكر في ان يثبت اركان دولته في الشرق الاسلامي فضم اليه السلطة الدينية وقاد الخليفة العباسي من مصر الى الاستانة فاقامه فيها وعين له راتباً . وصارت الخلافة الاسلامية الى سلاطين آل عثمان واصبحت مصر وسوريا تابعتين لهم دينياً ومدنياً . وكانوا يقيمون على كل من القطرين باشا يعينونه الى مدة محدودة ويعطونه سلطة محدودة توازنها في مصر ادارتان اخريان: الوجاقات والمماليك . فساءت احوال البلاد من جراء تفريق السلطة وتنازع اربابها عليها وتفنن كل منها في ابتزاز اموال الرعايا . واضطربت المواصلات بين القطرين المصري والسوري وضعفت حركة التجارة وانطفأ سراج العلوم وأقفلت المدارس وتبددت اسفار المكاتب وعم الخراب في كل الامبراطورية العثمانية . فكان عصر العثمانيين اظلم ما عرف في تاريخ

الشرق . وزاد الضغط الديني على المسيحيين واصبحوا لقمة سائغة للحكام والجهلة من العامة ، ولم يكن لهم من مغيث . ولما ساعد فخر الدين المعني امير لبنان الشهير المرسلين الافرنج الكاثوليكيين على النزول في سوريا ولبنان وفلسطين لجأ فريق من السوريين المسيحيين الى قناصل الافرنج وتمذهبوا بمذهبهم طمعاً في حماية دولهم والفوز بشيء من المساعدة المادية . فثار عليهم رؤساء الارثوذكس اليونانيون واخذوا يزرعون البغضاء والتعصب الديني في قلوب اخوانهم السوريين الارثوذكس ويلجأون الى البطريرك القسطنطيني ليستصدروا الاوامر في اضطهاد الكاثوليك مدعين انهم يتبعون الافرنج ويحاولون تمليكهم البلاد. فانتهز الحكام العثمانيون هذه الفرصة الثمينة ليضطهدوا المسيحيين من المذهبين الكاثوليكي والارثوذكسي ويستصفوا اموالهم . فوقع الفريقان تحت رحمتهم وزاد الاضطهاد على الكاثوليك بصفة كونهم منحازين الى الاجانب وخارجين على رؤسائهم الروحيين . فاخذوا ينزحون الى القطر المصري في اوائل القرن الثامن عشر حيث لم يكن من الارثوذكس غير الاقباط وبعض الافراد السوريين الذين لا نفوذ لهم . وزادت مهاجرتهم بعد اضطهاد سنة ١٧٢٥ الشهير . وكان اغلبهم من دمشق الشام فلقبوا بالشوام ، وعمّ هذا اللقب كل السوريين المهاجرين الى مصر . وسيأتيك شرح ذلك عن قريب .

٣ — علي بك الكبير ١٧٦٣ — ١٧٧٤

السوريون الكاثوليك — هجر السوريون الكاثوليك الى مصر حيث لم يجدوا حماية ولا مساعدة ادبية او مادية ولكنهم وجدوا فيها ضماناً لارواحهم وبعض الاطمئنان على مالهم وعرضهم . فرحب بهم الآباء المرسلون وخصوصاً الفرنسيسكان وكان هؤلاء قد توصلوا سنة ١٦٣٢ بواسطة قناصلهم الى ان ينشئوا لرهبنتهم في القاهرة ديراً قانونياً . وفي سنة ١٧٣٢ شيدوا لهم ديراً وكنيسة في الموسكي . وكانت رعيتهم مؤلفة من بعض التجار الافرنج وفريق ضعيف من الاقباط الكاثوليك ونفر قليل من الموارنة الحلبيين وبعض اللبنانيين . فزادت رعيتهم بوصول العنصر السوري

الكاثوليكي حتى ان الروم الكاثوليك في سنة ١٨٥٠ شادوا لهم مقبرة خاصة اصبحت فيما بعد مدفناً عمومياً للكاثوليك . وكانوا قبلاً يدفنون موتاهم في مقابر الارثوذكس بمصر العتيقة كما سيأتي شرحه . ولم تلبث هذه الاقلية السورية تكثر وتنمو وتتدخل في امور التجارة مدفوعة بنشاطها وذكائها الى عهد علي بك الكبير الذي كان اول من رفع عنها الضغط الديني وقربها من الوظائف الادارية وخصوصاً المالية . وكان الافرنج اول من مسك ناصية التجارة في مصر في حكم الدولة العثمانية فحربهم الحكام واحلوا اليهود محلهم ، فلم يلبث جشع المماليك ان قضى عليهم . فتقدم السوريون بقلب قوي وقدم ثابتة ومسكوا بيدهم دفة مصر المالية وتوصلوا منها الى نفوذ عظيم في الادارة السياسية وتوسعوا في التجارة الداخلية والخارجية واستقلوا بها ولم تستطع الجالية الافرنجية مع ما كان لها من النفوذ ولا اليهودية مع ما كان لها من الدهاء ان تستردها منهم ، الى ان سلموها بعد خمسين سنة الى محمد علي رأس الاسرة الحاكمة . فلم ينزعها منهم بل وكلها اليهم مع حفظ حقوق المالك الاول وتوسع فيها توسعاً عظيماً كما سنبين ذلك فيما بعد . وسنتكلم في القسم الثالث من هذا الكتاب عن كيفية اشتغال الجالية السورية على حداثة عهدها في مصر في كل هذه الفروع الاقتصادية والسياسية . انما احببنا الاشارة اليها هنا قبل كلامنا على عهد علي بك الكبير ، لان هذا الرجل العظيم كان اول من فتح بابها امام السوريين فانتفع بمواهبهم ونفع بلاده وكان له من الشأن العظيم ما كان .

شخصية علي بك — كان علي بك الكبير صورة مصغرة وسابقة لمحمد علي باشا مع بعض نقائص آلت به الى الفشل وقد تجنبها محمد علي ففاز

فقد كان علي بك الكبير كبير القلب كبير النفس كبير الطمع . دأب على الاصلاح واقر العدالة واشتد على العابثين بالامن ونشط التجارة والعلوم . وكان واسع الصدر عديم التعصب، استعان لانجاح بلاده بالعناصر الراقية بالرغم من كونها اجنبية ومسيحية ، ووثق بعقلائها وانقاد الى نصائحهم وسلمهم زمام الادارة المالية

والسياسية . فسعدت مصر وانتظمت شؤونها وفاضت خزينتها . ولما رأى علي بك قدمه ثابتة في الحكم ونفوذه متسعا عمل بنصيحة مستشاريه السوريين فنزع الى الاستقلال والفتح واتفق بواسطتهم مع ضاهر العمر صاحب عكا على طرد الدولة العثمانية من بلادهما . وكاد ينجح لولا انهماكه بالملذات وتوسعه في الاسراف وتقاعده عن القيادة بنفسه . وكان تحميله الشعب ما لا يطيقه من الضرائب للقيام بنفقات حربه وجيشه سبباً لكره المصريين لحكمه مع ما كان فيه من المنافع . فانحازوا الى اعدائه في اول فرصة سنحت لهم. اما محمد علي فقد توسل بتنظيم البلاد واحتكار التجارة للقيام بنفقات الجيش ومشاريعه العمرانية . وكان يحول قوة الجيش ومنتوج الاحتكار الى المنافع العمومية لا الى ملذاته الشخصية وهذا سر نجاحه

تسلم السوريين لادارة مصر المالية — كان اول اصلاح اتاه علي بك بعد استتباب الامر له تخفيض الضرائب عن عاتق الشعب وتعيين المعلم ميخائيل فرحات السوري مدير الجمرك القديم ، للادارة المالية بدلاً من يوسف بن لاوي الاسرائيلي الذي قتله جزاء خيانته .

(راجع زيدان ج ٢ ص ١٢٤ حيث يقول خطأ ان المعلم فرحات المذكور قبطي وسنبرهن في القسم الثالث انه سوري صميم)

وكان وزير المالية يسمى « متعهد الجمرك الاكبر » Le grand douanier لانه كان يتعهد للحكومة بمبلغ معلوم يقدمه لها سنوياً لقاء التزامه لضرائب البلاد ورسومها. ولما تسلم السوريون هذه المهمة لم يكتفوا بجباية هذه الرسوم على البضائع التي كانت تأتي من الخارج او تنتقل في داخلية البلاد بل اخذوا يشترون هذه الحاجيات ويبيعونها الى التجار بالجملة .

وكان متعهد الجمرك يعين الوكلاء عنه في المدن والثغور لجباية هذه الرسوم والضرائب ولاحتكار وتصريف هذه البضائع كما سيأتي الكلام . وكان يفضل

بطبيعة الحال ان يختار لهذه الوظيفة افراداً من ابناء جنسه . وكانت الحكومة تضع قوتها تحت تصرفه .

ومن هنا نشأت اهمية هذا المركز من الجهة الادارية والاقتصادية . وقد سمحت هذه الوظيفة للسوريين الذين جاؤوا الى مصر قليلين ضعفاء ، ان يتمكنوا فيها في وقت قصير و يتخذوا لهم فيها مركزاً محترماً عالياً ويتكاثروا ، حتى انهم كانوا في اواخر عهد علي بك يبلغون نحو ثلاثة آلاف نفس في القاهرة وحدها . وقد اتبع محمد علي باشا خطتهم وتوسع في احتكار تجارة الصادر والوارد في مصر فقبض على موارد البلاد وتمكن من ان يقوم بنفقات الجيش والاسطول العظيمة والمشاريع الاخرى العمرانية التي احيت مصر ووضعتها في مصاف الدول الكبرى وجعلتها اكبر دولة في الشرق

وحل المعلم ميخائيل الجمل محل المعلم ميخائيل فرحات . ولما غضب علي بك الكبير عليه اقام مكانه يوسف البيطار الحلبي من طائفة الروم الكاثوليك . فاستجار ميخائيل بالمعلم ابرهيم الصباغ مستشار ضاهر العمر صاحب عكا وصديق علي بك فتوسط له واعاده الى منصبه بالاشتراك مع يوسف البيطار المذكور . وبعد وفاتهما في سنة ١٧٧٤ حل مكانهما انطون فرعون الشهير كما سيأتي بيانه في القسم الثالث من هذا الكتاب

بين علي بك وضاهر العمر — كان علي بك مملوكا لابرهيم كخيا الذي قتله ابرهيم الشركسي . فلما تسلم مشيخة البلد اسرع الى قتل القاتل فثارت عليه احزابه واضطرته ان يفر من القاهرة الى عكا حيث لجأ الى الشيخ ضاهر العمر صاحبها واكتسب مودته . ثم استرجع منصبه في مصر بواسطة الصدر الاعظم صديقه واخذ يسعى في مصلحة البلاد فطهرها من اللصوص والمفسدين . وكان مستشاره كارلو روستي صديق وعشير السوريين وزوج رحمه ارملة يوسف بيطار المذكور وابنة بربارة الصبحاني . وكان السوريون المحيطون بعلي الكبير يحسنون له الاتفاق مع

ضاهر العمر على الدولة العثمانية والتخلص من نيرها ووشاياتها والاستقلال بشؤون مصر. وكان ابرهيم الصباغ مستشار ضاهر العمر يزين لسيده فكرة المحالفة مع علي بك الكبير والاستقلال بسوريا. فتكلل سعي السوريين في مصر وعكا بالنجاح وتعاهد علي بك وضاهر على التعاضد في هذا الغرض. واخذ علي بك يعزل ويبعد مستخدمي الملكية والجهادية ويخفض من رواتب رؤساء الوجاقات، فيتخلون عن مناصبهم، ويقلل من العساكر العثمانية ويكثر من المماليك الى ان ألف منهم جيشاً بلغ ستة آلاف رجل.

ففاجأته الحرب الروسية مع الدولة العثمانية ولم يكن اتم بعد استعداده، لكنه رأى الفرصة سانحة للاكثار من المماليك فجمع منهم اثني عشر الفاً بحجة مساعدة الدولة الى ان اصبح جيشه منهم ثمانية عشر الفاً. ولما وشي به الى الاستانة وارسلت هذه في طلبه قتل القابجي حامل اوامرها ورفع القناع عن مقاصده وعزل الباشا ونفاه واعلم ضاهر العمر حليفه بالامر. فاجابه ضاهر الى ذلك مسروراً وجمع اليه رجاله وضمهم الى جنود علي. فامر الباب العالي والي دمشق ان يسير اليهما في خمسة وعشرين الفاً لمنع جنود عكا من مساعدة المصريين، فنازلها الشيخ ضاهر بستة آلاف من رجاله واعادها على اعقابها.

ولما علم بذلك الباب العالي ترك مصر وسوريا لشأنهما لانه كان بشغل عنهما في محاربة روسيا. فلم يدع علي بك هذه الفرصة تفوته وزاد في تنظيم داخلية البلاد وبعث كارلو روستي مستشاره الخاص فعقد له معاهدة سلمية مع جمهورية البندقية وكلف يعقوب الارمني فعقد له مع روسيا معاهدة دفاعية هجومية.

ثم طمع الى الفتح فامتلك جزيرة العرب كما فعل بعد ذلك محمد علي. واقام على مكة ابن عمه وعهد الى محمد بك ابي الذهب ان يسير بثلاثين الفاً لاخضاع بلاد الشام والانتقام من واليها القائم في وجهه. فانضمت جنود الشيخ ضاهر اليه واستولت على غزه ورمله ونابلس واورشليم ويافا وصيدا ثم حاصرت دمشق فسلمت.

وكان الامير منصور الشهابي حاكماً على جبل لبنان وكان بينه وبين الشيخ ضاهر العمر علاقة مودة ومصلحة واتفاق ضد الدولة العثمانية مع الرغبة في الاستقلال عنها. فلما علم بدخول ابي الذهب دمشق ارسل اليه ثلاثة افراس من جياد الخيل وكتب له كتاباً اجابه عليه احسن جواب

(راجع نص هذا الكتاب في تاريخ الامير حيدر ص ٨٠٥)

وكاد يتم امر خروج مصر وسوريا ولبنان المتحالفة من يد الدولة لولا خيانة محمد ابي الذهب قائد الجيش المصري . فقد فكر في ان يجعل ثمرة الانتصار لنفسه وحول بغتة جنوده عن دمشق الى الديار المصرية وجاء الصعيد وحالف بكاواتها وقصد القاهرة لمحاربة سيده

فسير علي بك عليه حملة في ثلاثة آلاف عهد بامرها الى مملوكه اسماعيل فانضم اسماعيل الى ابي الذهب واضطر علي بك ان يهرب الى سوريا عن طريق الصحراء وفي معيته ستة آلاف جندي وخمسة وعشرين جملاً محملة مالا ذهبت كلها فريسة للقبائل البدوية، ووصل الى عكا في حالة يرثى لها من الفقر والمرض .

وفي اثناء ذلك ظهر امام عكا اسطول روسي وقدم لعلي ثلاثة آلاف الباني (ارنؤوطي) فضمهم الى ما كان قدمه له الشيخ ضاهر من المحاربين وارسلهم مع علي بك الطنطاوي لاسترجاع المدن السورية التي دخلت في حوزة محمد ابي الذهب. فاستولوا على صور وصيدا وقرى اخرى من سواحل سوريا كانت الجنود العثمانية احتلتها بعد انسحاب ابي الذهب . ثم قاد علي بك بنفسه ما بقي له من الجند الى يافا وافتتحها بعد محاصرة خمسة اشهر واستولى بعد ذلك على غزه والرمله واللد . ولما كان في يافا ارسل اليه الوجاقات سراً كتاباً يلحون عليه بالمجيء لتخليصهم من مظالم ابي الذهب وكانت هذه خدعة . فعادت الى علي آماله وبارح يافا في نفر قليل من غير ان ينتظر مدد الروسيين . وما وصل الى الصالحية حتى التقت به عساكر ابي الذهب وتغلبت عليه . ومع ان المرض كان قد هدّ قواه فقد دافع عن نفسه

دفاع الابطال وحمل الى ابي الذهب مثخناً بالجراح وتوفي بعد سبعة ايام .

وعادت سوريا ومصر الى ما كانتا عليه تابعتين لاملاك الدولة العثمانية ، وعادت احكام وادي النيل الى مشايخ البلد وصارت طعمة لثلاثين حاكماً بدلاً من ان تكون لرجل واحد محب للاصلاح . واحب محمد بك ابو الذهب ان يستعطف خاطر الدولة فاستأذنها في المسير لمحاربة سوريا وعلى الخصوص عكا والاقتصاص من اميرها الشيخ ضاهر . فسار بجيشه ودخل فلسطين واضطر الشيخ ضاهر الى الفرار بعائلته مع من لديه من المهاجرين المصريين . فتسنى لابي الذهب دخول المدينة واخذ قلعتها لكن المنية عاجلته فيها فعادت الجيوش المصرية الى القاهرة بجثته تحت قيادة مراد بك . ثم تولى المشيخة اسماعيل بك وكان على دعوة علي بك فعمل على اتباع خطواته وبعث الى الذين كانوا لا يزالون في سوريا من حزب سيده واستدعاهم اليه واقرهم في اماكنهم . لكن مراد بك اتحد مع ابرهيم بك وتغلبا عليه واقتسما حكم مصر وايراداتها حتى كانت حملة الفرنسويين (لها تابع)

طائفة الروم الكاثوليك في الناصرة

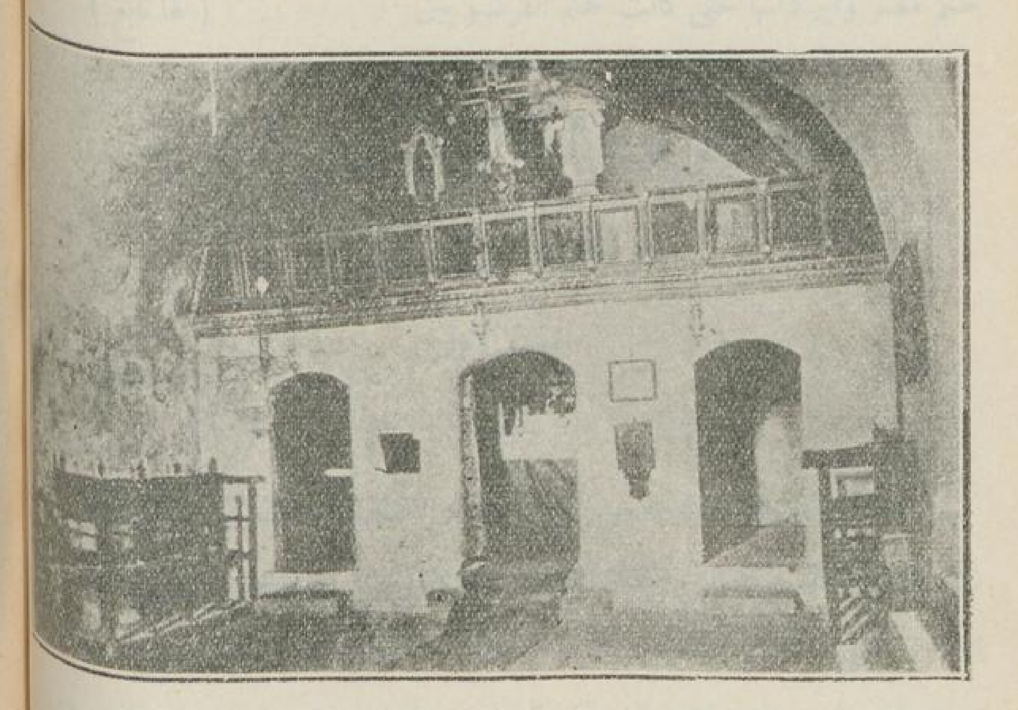
بقلم الخوري بولس قرألي

القسم الاول

نشأتها (تابع)

اما الحاكم فبعد خروجه من الدير استدعى القنصل الانجليزي وسلمه المفتاح . لكن هذا لم يكتف بما امر به الباشا بل طلب منزلاً في القرية الناصرة لسكنى الكاهن الارثوذكسي المكلف خدمة الكنيسة ، فاجابه الحاكم ان هذا ليس من شأنه بل هو متعلق برئيس الدير لانه ملتزم لهذه البلدة من باشا صيدا . وان ليس لباشا دمشق سلطة عليه (الحاكم) انما فعل ما فعل اكراماً لخاطر القنصل فقط . حينئذ نهض

عين العـذراء



كنيسة المجمع للروم الكاثوليك

القنصل واستأذن من الحاكم بالانصراف دون ان يزيد كلمة في هذه القضية . وفي صباح اليوم التالي علم الحاكم بسفر القنصل فخاف ليس من الباشا ، لانه لا دخل للمذكور في شؤون هذه البلاد ، بل بالاحرى من ضياع مبلغ العشرة الاكياس عليه. فارسل وراء القنصل ورجاه ان يعود ويدفع اليه المبلغ وهو يتكفل بايجاد محل لسكن الكاهن في الناصرة وانه مستعد للاتفاق معه على كل ما يرغب. فعاد القنصل في اليوم التالي وبصحبته مطران الارثوذكس وترجمان هذه الطائفة في القدس . فسلمه المبلغ وطلب اليه ان يجبر الروم الكاثوليك بان يعودوا الى كنيستهم ويطيعوا الخوري الارثوذكسي اذ لا فائدة من وجود هذا الكاهن في الناصرة من غير رعية تعرفه وتتبعه . فاجابه الحاكم بصوت واضح امام الحاضرين في ديوانه « انا يا حضرة القنصل محامي الدير والافرنج (اي الفرنسيسكان) . وهذه البلاد تخصهم . وهم قد قبلوا فيها الاروام المنضمين الى الكثلكة فليس من داع من الآن فصاعداً الى وجود الارثوذكس فيها . واؤكد لك انهم لن يعودوا . وكفى اني سمحت لكاهنهم بالسكن في الناصرة وبمفتاح الكنيسة. لكن حذارِ من ان يتدخل في شؤون الكاثوليك الجدد لئلا يكون له شأن معي ويصبح الاتفاق بيننا لاغياً » قال هذا وسلمه المفتاح . فقفل القنصل راجعاً الى عكا مع الاسقف والترجمان وهم نادمون على دفع المبلغ . وقد روي عنهم « انهم رموا بالدراهم سدى » والى الآن لم يجدوا كاهناً يقبل بالمجيء الى الناصرة .

وبعد سفرهم كتب الحاكم على نفسه تعهداً للاروام الكاثوليك اكد لهم فيه ان الكنيسة عائدة عن قريب اليهم وانه الضامن باعادتها . واشار عليهم ان يصلحوا موقتاً تلك البناية القديمة الموجودة في البلدة المسماة « بالمجمع » ويقول عنها اهل الناصرة نقلاً عن كبارهم ان هذه البناية هي المجمع الذي كان السيد المسيح يكرز فيه لما اخرجه اليهود وساقوه الى الجبل القريب ليطرحوه الى اسفل . وهذا سبب احترام النصارى لهذا المكان وخوف الاتراك من ان يمسوه بسوء لاعتقادهم ان كل من يأخذ

منه حجراً لا بدّ ان يقع في شر . وفي الحقيقة ترى في هذا المكان حجارة كثيرة مربعة الشكل جميلة النحت مطروحة هنا وهناك دون ان يجسر احد على استخدامها. فأصلح الكاثوليك الجدد هذه البناية ونظفوها . وهم يقيمون فيها الان شعائرهم الدينية حسب طقسهم وهم لا يرغبون في استرجاع الكنيسة الاخرى ، لانهم رأوا هذه أوفق لهم ويعرفون عنها الشيء الكثير بينما لا يعرفون عن تلك شيئاً .

هذه هي الحال الآن في الناصرة . فالاروام اصبحوا براحة كلية وجميعهم كاثوليك وعددهم يبلغ مئتين وعشرين نفساً بين رجال ونساء . وما عاد يتجاسر أحد على مضايقتهم . بل ان الحاكم الذي لم يكن يرضي بهم كاثوليكيين اصبح الآن يدافع عنهم ويتخذهم تحت حمايته الخاصة . واذا تراءى للارثوذكس ان يجلبوا الى الناصرة جماعة من حزبهم لا يصيب الشيطان منهم حصة كالتي كانت له الى الآن .

ولم يكن ليسمع في الناصرة باسم الروم الكاثوليك للاضطهاد الذي كان يقوم في وجه كل من يتظاهر بهذا المذهب . اما الآن فان أرغمنا على قبول الارثوذكس في الناصرة فلا خوف على الكاثوليك من اذيتهم . وهذا كان الغرض الاول المقصود من المساعي والتدابير التي شرحناها في هذه العريضة .

وللشهادة على ما جاء فيها قد وضعنا نحن رهبان الناصرة امضاءاتنا بخطوط ايدينا

تحريراً في يوم ١٢ دسمبر سنة ١٧٤١

ويلي ذلك الامضاءات .

انبأنا حضرة الاب العالم الخوري قسطنطين باشا في كتاب ارسله الينا ان مطران الارثوذكس المقصود هنا هو المطران صفرونيوس الشهير (راجع تاريخ القس منصور ص ١٦٠) وقال ايضاً ان ابرشيته كانت تمتد الى الناصرة وقد انتخب للبطريركية الانطاكية سنة ١٧٦٦ فرفض لكنه في سنة ١٧٧١ انتخب لبطريركية اورشليم ثم انتقل الى البطريركية القسطنطينية سنة ١٧٧٤ . وله بعض مؤلفات جدلية ضد الكاثوليك رد عليها الشماس عبد الله زاخر الحلبي

القسم الثاني

كنيسة المجمع

الفصل الاول

الخلاف مع الفرنسيسكان سنة ١٧٧٠

١ – تاريخ كنيسة المجمع

لقد عرفت من عريضة الآباء الفرنسيسكان المنشورة في القسم الاول من هذا الكتاب ان ضاهر العمر حاكم الجليل بعد اتفاقه الاول مع رئيس دير الناصرة الفرنسيسكاني أمر بطرد كاهن الارثوذكس وسمح للكاثوليك بتسلم كنيسته التي على العين . وهي كنيسة قديمة جاء في انجيل مار يعقوب غير القانوني Apocryfe ان الملاك جبرائيل التقى السلام على مريم العذراء وهي تستقي من هذه العين لكنها لم تنظره فعادت الى بيتها حيث ظهر لها وبشرها بولادة يسوع . وقد رأيت كيف ان الارثوذكس بمساعدة قنصل عكا الانكليزي استرجعوا هذه الكنيسة بعد ان دفعوا للحاكم مبلغاً كبيراً . وقد جاء على ظهر الوثيقة التي سلمها الحاكم اليهم « ان كل من شاء من اهل بلدة الناصرة ومن الخارج ان يصلي في هذه الكنيسة لا احد يضاده »

لكن الروم الكاثوليك لم يقبلوا مشاركة الارثوذكس في الصلاة فاستأذنوا الحاكم في تعمير المكان المعروف بقاعة المسيح او المجمع فاذن لهم وعمروه واقاموا فيه طقوسهم .

وهذا المعهد قديم وذو حرمة كبيرة يقول التقليد انه كان في عهد السيد المسيح مجمعاً ومدرسة لليهود وان السيد تعلم فيه مبادىء القراءة والتوراة . واول من ذكره انطونيوس مرتر سنة ٥٧٠ وقال « ان الدُرج الذي تعلم فيه يسوع احرف الهجاء محفوظ للآن ، وان الخشبة التي كان يجلس عليها مع رفاقه لا تزال موجودة ولا يقدر احد ان يرفعها من مكانها غير المسيحي » وذكر السائح البياسنزي هذه

الكنيسة في القرن السادس . وتكلم عنها بطرس الشماس سنة ١٠٣٧ و بورخرد سنة ١٢٨٣ واول من عين مكانها سوريوس سنة ١٦٤٤ ثم دوبدان سنة ١٦٥٢

(راجع تاريخ الناصرة للقس منصور ص ١٦٨)

وقال جاستون دهاردي « انه لم يكن قائماً منها في سنة ١٧٤٠ سوى جدرانها الاربعة . وان المسلمين ارادوا ان يستعملوها كاسطبل فلم تكن الحيوانات تعيش فيها فاستولى عليها الاب برونو رئيس دير الناصرة بامر ظاهر العمر واصلحها . ولكن السكان كانوا ينهبونها فتركها الى سنة ١٧٤١ لما انتحل الايمان الكاثوليكي ٢٢٠ نفساً من الروم فسمح لهم رئيس الدير ان يقيموا فيها العبادة ولكنه لما علم قصدهم لامتلاكها منعهم من الدخول اليها »

(راجع تاريخ الناصرة ص ١٦٩)

وهذا خطأ واضح من الكاتب المذكور لان الآباء الفرنسيسكان انفسهم يشهدون في عريضتهم المرفوعة الى مجمع انتشار الايمان التي ترجمناها في القسم الاول ان حاكم الجليل بعد ان استعاد منهم كنيسة العين « كتب على نفسه عهداً للروم الكاثوليك ان هذه الكنيسة عائدة عن قريب اليهم وانه الضامن باعادتها . واشار عليهم ان يصلحوا موقتاً تلك البناية القديمة الموجودة في البلدة والمساة « بالمجمع » فاصلحها الكاثوليك الجدد ونظفوها وهم يقيمون فيها الآن شعائرهم الدينية حسب طقسهم » (راجع مجموعة لمنس ص ١٥١ و ص ٣٢٥ من هذه المجلة)

ولعمر الحق لو علم الروم الكاثوليك بهذه العريضة في اثناء اختلافهم مع الفرنسيسكان على هذه الكنيسة ، وقد دام مدة خمس وسبعين سنة ، لكفوا انفسهم اتعاباً ومصاريف كبيرة

٣ — خلاف سنة ١٧٧٠

جاء في عريضة رفعها السيد تاودوسيوس دهان بطريرك الروم الكاثوليك الى مجمع انتشار الايمان المقدس في رومية (راجع مجموعة لمنس ج ٢ ص ٥٥)

« ان الروم الـكاثوليك لما اضطهدهم الحزب الارثوذكسي بشدة اضطروا ان يهربوا من الناصرة و يتركوا كنيستهم فانتهز الفرنسيسكان هذه الفرصة واستولوا عليها و بقيت في يدهم الى اسبوع الآلام من السنة الماضية »(١٧٧٠ م)

ولما لم يرضَ الفرنسيسكان ان يعيدوها اليهم لجأوا الى مجمع انتشار الايمان المقدس فعين القس سمعان صباغ الرومي الكاثوليكي مرسلاً رسوليًا وكلفه فحص هذه القضية (راجع عن القس سمعان صباغ مخطوطات النصارى للاب شيخو ص ١٣٢ والدبس ٤٥٥) فجاء المذكور الى الناصرة واخذ شهادة فريق من سكان الناصرة تثبت حقوق طائفته على هذه الـكنيسة . واليك نص هذه الشهادة نقلا عن صورة وجدناها بين اوراق السيد لطف الخوري (راجع المجلة ١ : ٥١٨) وقد نشرها حضرة القس اسعد منصور في كتابه (ص ١٧٠) لكنه اهمل تعليق اصحاب الامضاءات . فرأينا ان نعيد نشرها هنا كاملة لاهميتها ولما تضمنت من المعلومات الثمينة عن هذه القضية:

« نحن سكان الناصرة اذ دعينا من حضرة الاب القس سمعان الصباغ المحترم المرسل الرسولي الى الشهادة جهراً فيما يخص حال القاعة من ثلاثين سنة او ربما اقل ولاجل ان حالتها في الزمان المذكور هي واضحة لدينا وعليه نقول ان مدرسة السيد المسيح المعروفة عندنا قبل الزمان المذكور اعلاه كانت من جملة الاماكن الخراب وليس الى احد عليها تملك بنوع من الانواع وابداً ما انورد امامنا من جدودنا ان احداً من الطوائف تملكها ولا انورد ايضاً عن جدودنا من جدودهم ان المكان المذكور اعلاه كان بتمليك احد الطوايف ، بل تقليد غير معروف مبداه عندنا نفهم ان المكان خال من كل تملك ومحسوب من جملة الاماكن الخراب الموجودة في الناصرة . ثم نشهد ان المكان المذكور اعلاه كان مأوى البقر والحمير وليس فقط هكذا بل مأوى للكلاب ومهان ليس له اعتبار عند جميع الطوايف . وحينما كان هكذا سكن فيه أحد الصنايعية في الحياكة وسكنته كانت من قبل المتقدم المتسلم الوقتي المقام من حضرة ولي النعم الشيخ ظاهر العمر دام بقاه . ثم ان الحايك المذكور بعد مدة من الزمان

ترك جانب القاعة المذكورة . وهكذا رجعت حالتها في كافة نواحيها الى الاهانة القديمة عارية من كل اعتبار من كافة الطوايف الشرقية والغربية . وفي هذا الزمان تظاهر بالايمان الكاثوليكي القس جبرائيل عبد السيح الناصري وجانب من سكان الناصرة وهنا صار مدافعة غرش على الكنيسة المعروفة بكنيسة العين بين القس جبرائيل المذكور وبين الروم الباقين . فتملك القس جبرائيل مع جماعته مدة من الزمان الكنيسة المذكورة اعلاه ، ثم بامر المشار اليه انقسمت بين طائفة الكاثوليك والروم الباقين . اخيراً القس جبرائيل وجماعته طردوا من الكنيسة المذكورة وهكذا طائفة الكاثوليك عدمت الكنيسة في الناصرة . وبما انها لم توجد مكان تصلي فيه لعدم قبول البادرية لهم في ديرهم التجأت الى الحاكم الوقتي سعادة افندينا ظاهر العمر الفايق الشرف وطلبت من حنوه ان يعاملها بالرحمة ويمن عليها بان تملك القاعة المذكورة . وهنا الكاثوليك وضعوا يدهم عليها وعمروها كافة . . . (كلمتان لا تقرءان لتأكل الورق) حائطها القبلي من أساسه الى فوق ورمموا بها بعض اشياء وعمروا فيها مذبح على الشرق بموجب الطقس الشرقي وقطعوا قاطع داخل الكنيسة وفتحوا له ابواب ملوكية بموجب عوائد الكنيسة الشرقية . وانتشر اسم القاعة المذكور اعلاه بكنيسة مختصة بطائفة الروم الكاثوليكيين وكملوا فيها كافة رتبهم الكنايسية وقدسوا فيها . وعمروا ايضاً . واخيراً طرد الكاثوليكيين قهراً عن ارادتهم من مدينة الناصرة بدفيعة صارت عليهم . حينئذ التزموا ان يتركوا الكنيسة اي القاعة . هنا الآباء البادرية تسلموا المكان المذكور واستمروا متسلمينه الى جمعة الآلام من هذه السنة ادناه . حرر في ٢٣ حزيران سنة ١٧٧٠ »

« يشهد بذلك الحاج صليبي (ابن ظاهر العمر) الذي كان يومئذاً [يومئذ] متولي امر الناصرة صح »

« انا الخوري الياس خليف اشهد ان فتوح القاعة كان مبداه من الكاثوليكيين وانها كانت خراب كما هو مشروح اعلاه قبل فتوحها بكنيسة »

«وانا الياس حبيب اشهد ان القاعة [المعروفة ؟] بكنيسة [المجمع؟] كان مبداها على يد الكاثوليكي [ويسمونهم في الناصرة « الكتلوك »] وانها كانت خراب كما هو مشروح اعلاه قبل فتوحها بكنيسة »

« انا المعلم جرجس عيد اشهد بصحة ما هو مذكور اعلاه وانا الذي عمرت الحايط القبلي ورممتها »

«انا الياس العجاج اشهد ان [في] حياة القس جبرائيل [عبدالمسيح] اشترى مني الحجارة التي منها قام حايط القاعة القبلي . ثم اشهد ان الكاثوليكي هم مبدأ فتوح القاعة المذكورة بكنيسة »

«انا دوغان اشهد بصحة ما هو مذكور اعلاه ثم اقول انني يوم عمار الحايط القبلي كنت صانع عند المعلم جرجس عيد المذكور اعلاه واشتغلت في قيام الحايط المذكور وفي باقي ترمرم القاعة المذكورة »

« انا غريب اشهد بصحة ما هو مذكرر اعلاه ثم احلف باسم الاله القادر ان كلفة عمار حايط القاعة ، والترمرم المذكور في العرض [العريضة] هو من مالي . وهذه الشهادة قرّيت [اعترفت] بها جهاراً امام شعب غزير بحضور القس يعقوب الروم »

«انا القس يعقوب اشهد اني سمعت من المعلم جرجس عيد المذكور اعلاه انه سأل [في] حياة الخوري جبرايل ممن كان عمار الحايط القبلي ، اي حايط القاعة فكان جواب المعلم ان الخوري المذكور قال له ان الكلفة من غريب . ثم حضر غريب أمامي وحلف بقسمي ان الكلفة المذكورة من كيسه [جيبه] . وما ذكرته صار جهاراً امام خلق غزير »

ويتذكر القراء ان القس جبرائيل عبد المسيح كان على رأس الذين تمذهبوا بالكثلكة وانه عاد بعد ذلك الى المذهب الارثوذكسي . وهذا سبب استناد الروم الكاثوليك على شهادة القس يعقوب الارثوذكسي خليفة القس جبرائيل المذكور

« انا القس عيسى الكاثوليكي اشهد ان غريب حلف جهاراً كما هو مذكور اعلاه وان المعلم جرجس عيد ايضاً قال كما هو مذكور في شهادة القس يعقوب »

« انا فرنسيس يامين [الماروني] اشهد بصحة ما هو مكتوب اعلاه ومناظر عليه »

« نحن المحررة اسماءنا بذيله نشهد ان حضرة فرنسيس يامين هو كان المتقدم في الناصرة . وبان الشيخ ضاهر عمر دام بقاه [كان لا يزال حياً] وهو المطلع اكثر من الجميع على احوال القاعة في ذلك الزمان »

صح في ٢٥ حزيران سنة ١٧٧٠

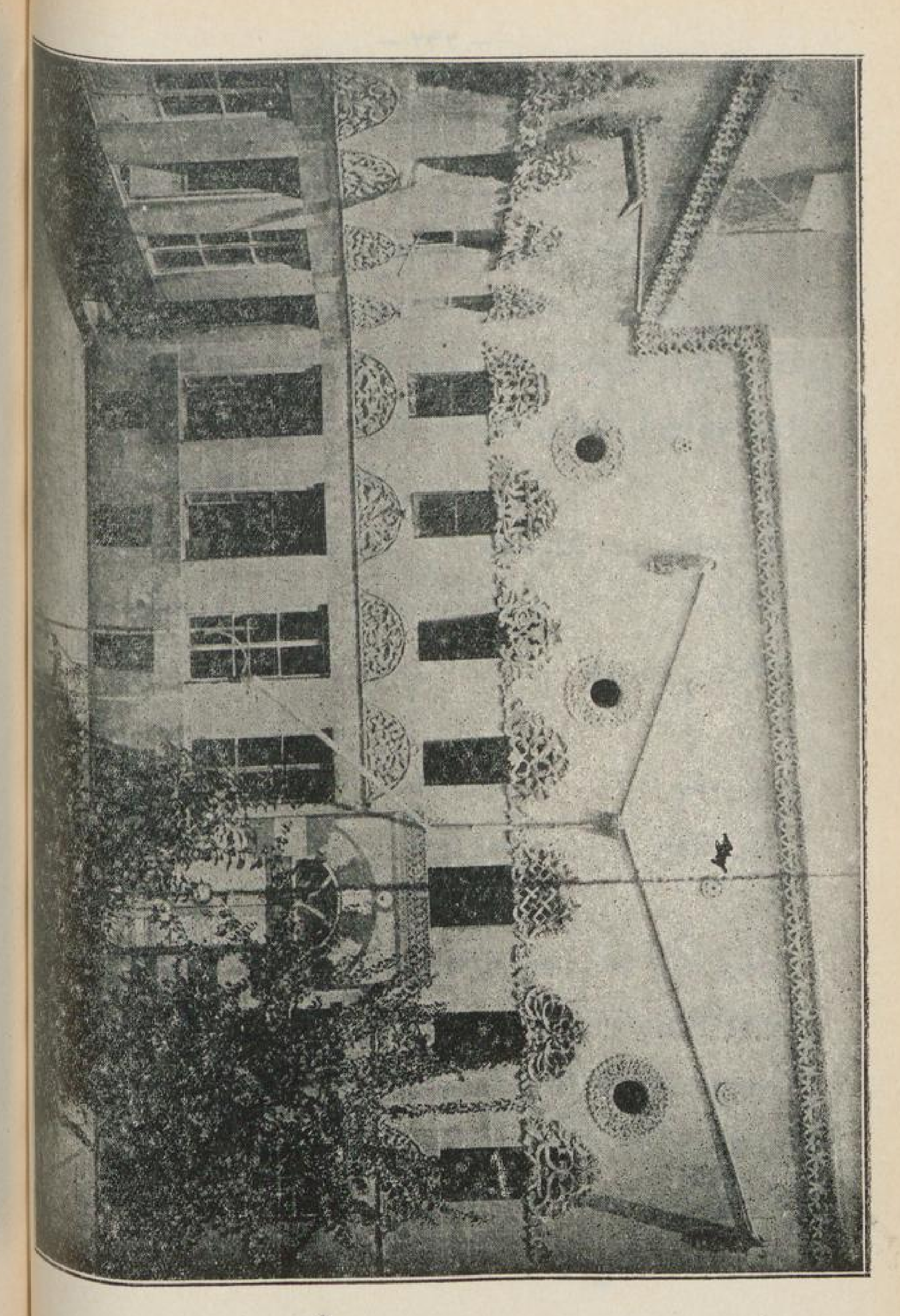
شهد بذلك	شهد بذلك	شهد بذلك	شهد بذلك
المعلم نقولا الصليبي	حنا ابو نصار	بولس بن ميخائيل ترجمان ارض الجليل	يوسف بلوطين
م	م	م	

شهد بذلك	شهد بذلك
الياس الشماع	نقولا اللحام
م	م

ويقول القس اسعد منصور في تاريخه (ص ١٧٠) « ان في سجل كنيسة الموارنة فقرة ورد فيها ان الكاثوليك هم الذين اخذوا هذا المحل بامر ظاهر العمر »

وقد عثرنا على هذه الفقرة في السجل المذكور وهي بقلم الخوري بونا ونتورا الماروني مؤسس الكنيسة المارونية في الناصرة واليك نصها « فاتفق ان اخوتنا الطائفة الكاثوليكية بعد هذا الصدد اتخذوا لهم مكاناً اي كنيسة المدعوة « مدرسة المخلص » وذلك بامر افندينا الشيخ ظاهر العمر . . . »

(لها تابع)



حوش دار يوسف قرألي

وهي في اول بوابة الياسمين ومن افخم دور حلب

بنيت سنة ١٧٥٧

اللآلي

في حياة المطران عبد الله قرالي

بقلم الخوري بولس قرألي

الفصل الثاني

الرهبانية القديمة في لبنان (تابع)

٢ — طريقة العبّاد اللبنانيين

واتماماً للفائدة رأينا ان نورد للقراء وثيقتين توضحان طريقة هؤلاء الرهبان العباد نأخذ الاولى منهما عن كتاب رحلة الاب ايرونيموس دنديني الى لبنان سنة ١٥٩٦ مقتطفين ما قاله في هذا الصدد عن الترجمة الفرنسوية لهذا الكتاب التي نشرها الاب ريشار سيمون في باريس سنة ١٦٧٥ (فصل ٢٣ ص ١٠٤) قال :

« لا يوجد هنا تمييز في الرهبنات والقوانين كما في بلاد الغرب بل كلها على نوع واحد . ومن رأيي ان هؤلاء الرهبان بقية من النسّاك القدماء الذين كانوا يعيشون بعيدين عن العالم في صحارى سوريا وفلسطين . لانهم لا يسكنون في حقول زاهية او فوق روابي جميلة ولا في مدن مزدحمة بل في اماكن منعزلة من هذه الجبال وفي كنف صخور عظيمة او في كهوف احرى بسكنى الحيوانات منها بالانسان »

« اما لبسهم ففي غاية من الفقر والخشونة . فهم يتشحون بثوب خشن رديء غير مفصّل ويضعون على رؤوسهم قلنسوة سوداء تنحدر حتى اوساطهم دون ان تغطي الاكتاف . ومعيشتهم بسيطة جداً . يقتاتون مما تنبته الارض عفواً ولا يأكلون لحماً مطلقاً حتى في المرض وخطر الموت . ولا يشربون الخمر الا نادراً . وليس لهم قوانين خصوصية او تنظيمات مكتوبة يتقيدون بها كما في رهبنات الغرب . ولا ينذرون

نذور الرهبنات اي الفقر والعفة والطاعة . لكنهم اذا دخلوا الدير يقرأ عليهم أحد المتقدمين بعض الوصايا والنصائح ويفهمهم ان الواجب عليهم حفظ العفة . وهذا كاف لان يتقيدوا بالعفة تقيداً شديداً حياتهم كلها . حتى انه لا يسمع عنهم من هذا القبيل شيء يثير الشكوك فيهم ويخدّش سمعتهم . مع انهم يتجولون بحرية من محل الى آخر ويمضون بعض الاحيان اياماً عدة بين ذويهم . واذا ضجر احدهم من دير انتقل الى غيره بدون استئذان الرئيس »

« ولهم املاك واراض يتصرفون بها في حياتهم كما يشاؤون ويورثونها عند مماتهم من يريدون . ولا ريب ان هـذا خلل طرأ على عاداتهم . وهم لا يترشحون الى الوظائف ولا يأتون عملاً مفيداً للشعب كالوعظ والتدريس وسماع الاعترافات والارشاد وغير ذلك . فكأنهم لم يترهبوا الا لخلاص انفسهم »

« ويلقبون ذواتهم برهبان القديس انطونيوس مع ان هذا القديس لم يؤسس رهبنة . ويشتغلون في الزراعة اقتداء بالنساك القدماء الذين كانوا يصرفون قسماً كبيراً من نهارهم في شغل الحقول والعمل اليدوي تجنباً للكسل وتحصيلاً لمعاشهم، وهم ذوو ضيافة خصوصاً في دير قنوبين حيث المائدة مفتوحة السنة كلها ليس للموارنة الذين لهم اشغال مع اهل الدير فحسب بل لعموم المسيحيين كافة ، حتى وللاتراك (المسلمين) انفسهم . وللضيوف ان يمكثوا في الدير ما شاؤوا »

وقد عثرنا في مخطوطة محفوظة في مكتبة حضرة الاب برنردوس غبيره الحكيم ، رئيس الرهبانية الانطونيانية سابقاً، على اشعار زجلية نظمها الخوري كامل نجيم ، أحد رهبان دير ريفون ، حوالي سنة ١٦٩٠ ، اي قبل مجيء المطران عبد الله الى لبنان باربع سنين ، ذكر فيها كيفية تأسيس هذا الدير والذين ساعدوا في انشائه . ثم انتقل الى ذكر فرائض العباد . واليك فقرة من هذه المنظومة نثبتها للقراء مع ركاكتها لانها وثيقة ثمينة توضح لنا كيفية معيشة هؤلاء الرهبان ونفسيتهم وتدلنا على ما كانت عليه اللغة العربية في لبنان في تلك الازمنة القديمة قال :

من يتبع درب القديس مار انطونيوس النفيس الرب ينجيه من ابليس
ومن حيل الشيطانِ

وضع لنا يا اخوة قوانين وهم يحفظونا من المجانين ويكونوا لنا معينين
في هذا الدهر الفاني

وبعد ذلك ننال الملكوت ونسجد دَوم لاسم الثالوث ونسبح لرب الجبروت
مع الآباء الرهبان

الذين حفظوا الرهبنة مع القوانين والمسكنة سكّنهم ربنا الجنة
انطونيرس والرهبان

كذلك من يَريد يكون معهم وفي السماء يرافقهم يقبل القوانين متلهم
طاعة وعفة يا اخواني

والفقر ايضًا هو المسكنه ثلاثة قوانين للرهبنة يخلصوا الراهب من اللعنة
ويسكنه في الاجنان

ومن يريد يدخل بالمحاربه لازم يقعد بالتجربه لئلا تأتيه الكربه
ويصير من الندمانِ

وبعده ينذر على نفسه النذورات بحضرة رئيسه لئلا الشيطان يوسوسه
ويرميه في الطغيان

واما القديس البار مار انطونيوس المختار كوكب النجم المزهر
زايد عن الرهبان

كما هو باين من الاخبار ومن قصص باقي الابرار زاد هو عن جميع الاحبار
بالقوانين والاحسان

امتناع عن اللحم دايم قانون رابع دوم صايم نذر مختص ايضًا قايم
ومن يخالفه يكون سكران

ويقطع الاربعاء والجمعة   ويصوم دايم الى التاسعة   وصلواته تكون متشفعة
في من يتبعه من الآن

وايضاً خمسين يوم صيام   مفروضة بتلك الايام   والصلاة دايم دوام
يشكر و يسجد حقاني

في خامس عشر من تشرين   يبدا بالصيام والقوانين   ويطرد ايضاً المجانين
اعني بتشرين الثاني

وثاني صيام هو اربعين يوم   بتاني الغطاس ايها القوم   وهو صيام المسيح الى اليوم
يعيننا الله الرحمان

وايضاً اصوام الميلاد   وبطرس و بولس يا اجواد   يرزقنا الله العباد
وشفاعته يا اخواني

وقطاعة السيدة مريم   تكون شفيعته بالعالم   لينجو من جميع المظالم
ومن حريق النيران

ومن يتشبه بالقديس   مار انطونيوس الحبيس   ويخلصنا من ابليس
في صلوات الطوباني

قضا عمره في الصيام   غياب الشمس كل الايام   والصلاة ايضا قيام
نهاره وليله سهران

ومن جهة اللبس يا اخوة   عبا عاللحم وقلسوه   و بشتيك وزنار جلد حقوه
والنوم عالحصير كمان

ولما يرقدوا الرهبان   لا يحلوا زنار يا اخوان   والقلسوه ايضاً كمان
ولا ينام عند العلماني

وايضاً لا يكثر الدوران   و يأخذ حظره (حذره) من النسوان   لئلا يوقع بالتوهان
و يستسلم للشيطان

وفي الديورة تكون سكنته   تحت الطاعة مع اخوته   ولا يكسل يقاع في شبكته
اعني مصيدة الطغيان

والصلاة تكون في اوقاتها　في ليلها مع أشياتها ؟　ونهارها مع فرضاتها
تنال فيه الجنان

وقراية كتب المقدّسين　وايضاً قصص القديسين　والرهبان المحبوسين
ليشفعوا فينا يا اخواني

وابداً على عريس لا نصلي　ولا نصير اشابين بالكلي (بالكاية)　ولا نحضر عرس بالجملي
ولا نركب خيل يا اخواني

والخمر لا تكثر شربه　لئلا يرميك في السكر به　ويرميك العدو في الضربه
وتسقط في النيران

ولا تكثر الحديث يا انسان　لئلا توقع بالنقصان　وتبقى من رفقة الشيطان
وتصير من الخسران

واهرب من مجد الباطل　والاّ توقع في العاطل　ومن السكبر يا ايضاً ماطل
واحظر من الطغيان

واحظرك من الناس ورفقتهم　ومن عطاهم ومعاملتهم　ومن الدوران بيناتهم
تخسر كل الازمان

ومن الموت لا تكونوا غافلين　وفي امور الله متكاسلين　الاّ دايم متيقظين
في عبادة الربان

والمحبة لله وللقريب　ونكون نحسن للغريب　بالاكل والشرب ايها الحبيب
يكون لك كنزاً غير فاني

لان هكذا قال سيدنا　بهؤلاء الوصيتين علمنا　كمان الانبياء وناموسنا
وهم يرضوا الربان

فمن هذه الزجلية نستدل ان العباد كانوا عارفين بالنذور الثلاثة وحافظين لها وكذلك مدة « التجربة » التي يجب ان تسبق النذور بحضرة رئيس الدير . وان الفرايض والصيامات والتقشفات كانت معدودة من نصائح القديس انطونيوس

ابي الرهبان وكانوا يزيدون عليها الانقطاع عن اللحم كل الحياة « كقانون رابع » .
وقد رأيت انهم كانوا يمضّون اغلب ايام السنة في الصوم وقد عددها الخوري نجيم
وقال انهم كانوا يلبسون العباءة على اللحم ، على سبيل الاماتة لخشونتها ،
وانهم كانوا يرقدون على الحصيرة من غير ان يحلوا حزامهم لما في ذلك من المضايقة،
وكانوا يقومون بصلوات النهار والليل في مواعيدها ويمتنعون عن تكليل العريس
وحضور الافراح والبيات عند العلمانيين وركوب الخيل . ولا يشربون الخمر الا نادراً
كما جاء في رحلة دنديني :

٣ — اول سعي في الاصلاح

رأى عبد الله معيشة هؤلاء الرهبان فرضي بها لتقشفها مع ما كان فيها من النقائص
آملا ان يتوصل الى اصلاحها في نفسه وحمل رفقائه في المستقبل على الاقتداء به .
لكنه لم يقبل قط مجاورة الراهبات لما رأى في ذلك من الخطر على راحة ضميره،
فتوصل مع حداثة عهده في الدير الى اقناع رفقائه بابعادهن . فوافقوه على ذلك
وكاد ينجح في ذلك لولا تشبث المطران . فقد كان الدير كرسيه وتابعاً له
وكان يستعين برهبانه على ادارة املاكه وقضاء اشغاله و بالراهبات على ترتيب المعيشة
الداخلية . وكان هـذا حال كل ديورة لبنان التي كانت مستقلة الواحد عن الآخر
وخاضعة لاسقف المحل او للرئيس الخاص دون ان يكون هناك ادارة عامة او نظام
معروف . ولنعد الى مفكرة عبد الله . قال :

« فمال خاطري وخاطر اخي يوسف للسكن عندهم بعد مشورة اخينا جبرايل
المقيم في دير قنوبين بشرط ان المطران يخرج الراهبات من الدير لاننا رضينا
بمعاشرة الرهبان دون مساكنة النساء . ولذلك راسلنا المطران جبرايل على رفعهن
من الدير فأبى . فاشتدت معنا الرهبان على هذا الرأي. والشماس موسى ومعه ثلاثة
انفار من اجراء الدير عزموا على ان يترهبوا معنا وكان رأيهم كرأينا وتشددوا على
المطران كثيراً ليرفع الراهبات فما امكن ذلك . وكان يحتج بان الدير يخرب بخروج

الراهبات منه . ولما رأينا غرض المطران عدلنا عن الرهبنة في طاميش ورجعت انا وحدي لعند اخي جبريل الى دير قنوبين و بقي اخي يوسف في طاميش ينتظر مراساتي. ولما كان اواخر السنة التي هي سنة ١٦٩٤ صار ضيقات في بلاد الجبة من الحكام وخرج البطرك اسطفان من قنوبين وجال في بلاد جبيل والبترون يزور القرى ويجبي البطركية واخذنا معه انا واخي جبريل بمنزلة شمامسة نخدمه . وكان لنا غرض وهو ان نزور ديورة بلاد جبيل والبترون ونميزها لعلها توافقنا للسكنى فيها . وفي تلك السنة كان حكامها مشايخ بيت الخازن حكام كسروان »

وما يجدر هنا التنبيه اليه حكمة وحسن نية عبد الله لانه اذ رأى عدم الفائدة من تشدد الرهبان على اسقفهم وخاف ان يتحول طلب الاصلاح الى عصيان على رياسته فضل الانسحاب وعاد الى دير قنوبين حيث كان رفيقه جبريل ينتظره

(لها تابع)

احسن ما جادت به القرائح السورية

القرية

نعم انني عدت والشوق رائدي | اليك ايا مهد الصبا كي أفي نذري
فاركع ما بين المنازل خاشعاً | أقبل أعتاب الفضيلة والطهر
وأقضي حياتي في ربوعك قانعاً | بما فيك من سلوى وما فيك من ذكر
بعيداً عن الضوضاء حيث تراكمت | هموم الليالي تمطر القوم بالذعر
وحيث بلوت الناس حتى عرفتهم | ذئاباً ترودوا معطف المكر والغدر
ففي النور تلقاهم نعاجاً وفي الدجى | تراهم خضاب القلب والناب والظفر
الا ان عيش المرء ثمت علقم | وسجن هي الدنيا لكل فتى حر
ومثلي فتى يهوى الحياة طليقة | تسير مع الرعيان في المهمه القفر

واهوى حقير الكوخ حيث حقيقتي   مجردة تبدو لعيني وفي فكري
فاعلم من امري الذي جهل الورى   ومن سر هذا الكون مالم اكن ادري
فيا وطني يا وكر انسي و بهجتي   ومرجع آمالي لدى العسر واليسر
سلام على ما فيك من شمم وما   بقلبك من حب ونفسك من كبر
سلام على احياء قومك من فتى   يرى الموت خيراً من حياة على الضر
سلام على من اودعوك رفاتهم   فأودعتها من قلبك الحر في قبر
سلام على ماضيّ فيك نمت به   عرائس حبي طاهراً ونما شعري
زمان كعصفور تباعد طائراً   جناحاه من لطف الحداثة والبشر
به كنت خلواً لست اعرف ما الشقا   وما بيَ من هم يضيق له صبري
الى لذة الآمال ارقد في الدجى   فتنشدني الاحلام انشودة النصر
فلا النجم في مرمى الفضاء يثير بي   كوامن اشجان ولا طلعة البدر
بلى كنت إن يشك الاسى بعض معشري   اوآسيه جهراً ثم اضحك في سري
وما انا ممن يزدري ببؤس بائس   ولكن خوفي ان يداهمني عذري
وكنت اذا ما الفجر بانت خيوطه   تطرز اثواب الطبيعة بالتبر
اسير على سفح الربى صحب فتية   لهم بعض مالي من شعور ومن عمر
نطارد في رحب السهول فراشها   ونجمع ما قد ضاع عرفًا من الزهر
ونرقى شعاب الصخر والوعر دونها   لنصطاد افراخ العصافير في الوكر
ونستقبل الاسحار في السهل تارة   وطوراً وفود الليل في مجثم النسر
ونقتطف الاثمار حينًا شهية   وحينًا مع الاسماك نسبح في النهر
وكم ذا على الاعشاب في ظل دوحة   رقدنا عياء نتقي وطأةَ الحر
تلاطفنا الارواح عند مرورها   ويطربنا من فوق افنانه القمري
الى ان تميل الشمس نحو غروبها   فنرجع للاحياء منشرحي الصدر
سكارى كأن الخمر دارت كؤوسها علينا ولا كأس ولا ثم من خمر

أجل مرّ ذاك العهد مرّ سحابة ‏ على روض عمري ساكبًا ديم القطر
فراح وخلاه من الانس بلقعًا ‏ فما فيه من زهر ولا ورق نضر
تمر به الاطيار ثكلى حزينة ‏ تسائل عن ادواحه زهرة القفر
فتسمع صوتًا في الظلام يجيبها ‏ «ذوت قبل ان تحظى بتبسامة الفجر»
كذلك يذوي العمر والقلب لم ينل ‏ ولو بعض ما قد كان يرجو من الدهر

عبد الله حشيمه

صاحب مجلة العرائس (بكفيا)

قصة حماري (تابع)

خاتمة

يعز على قلمي ان يخط بقية قصة هذا الحمار لانها ستحزن القراء حزنًا شديدًا، وان وقعت بين ايدي ذوات السوار تفطرت قلوبهن عليه اسى وعمدن الى نتف ما ابقته المودة من الشعر في رؤوسهن اللطيفة . . .

ولكن هذه القصة لم تعد ملكاً لي ولا لصاحبه بل اصبحت لاهميتها ملكاً للجمهور . وبالاحرى هي ملك التاريخ الذي سيخلد اسم بطلها ويسطر افعاله ووقائعه بمداد الذهب . وسيكون تاريخ حياته شاهداً آخر على استبداد الانسان بالحيوان، مع انه رفيقه على البسيطة ومساعده في اكثر اعماله . لانه مع ما كان عليه هذا الحمار الممتاز من الذكاء الفطري والرقي العصري، اللذين يندران في المخلوقات العاقلة، عدّه الانسان مخلوقاً لخدمته . فاساء معاملته ولم يرع له حرمة ولاحقًا .

وسيأتي يوم وهو غير بعيد يطالب به احفاد هذا الحيوان المظلوم بحقوق المساواة مع الانسان، كما تطالب الآن السيدات بحقوق المساواة مع الرجال . . .

ولكنه من سوء حظه عاش في عصر كان الانسان حاكمًا مطلقًا على بني الحيوان

مع ان الخالق لم يميزهم عنه الا" بالنطق ، وسينطقون . . .

قال الكاهن صاحب هذا الحمار بعد ان تمنع عن اتمام قصته . اليك بقيتها ولو جددت في نفسي ذكرى اليمة اود" ان انساها. بعد سياحة خمسين يومًا مرت في اثنائها تحت نظري اجمل مناظر العالم وتحت ضرس حماري الذ حشائش الارض ، عدنا الى خيمتنا في عين القدح ووجدنا فيها كل ما كان سببًا لتعلقنا بهذا المكان في المرة الاولى من راحة ونشاط وعذوبة مياه وخصب مرعى ولذة اثمار . فظن حماري انه بلغ اوج السعادة وانه لم يعد امامه بعد كل هذه الخدم المخلصة الا الاحالة على المعاش ،كسائر الموظفين . . . ،فخابت آماله .

اخبرني احد اهل قصبة زغرتا الواقعة على ساحل لبنان الشمالي ، ان الاستراليين لما هموا على الرحيل من لبنان بعد نهاية الحرب الاخيرة واحتلال الفرنسويين له ، جمعوا الخيول في بقعة هناك وصوبوا بنادقهم الى ادمغتها فقتلوها كلها . وكان الاهلون يتراكضون للتشفع فيها ودفعوا في بعضها خمسين ليرة عثملية ذهبًا . فكان الضباط الاستراليون يجيبونهم : هذه الخيل خدمت الدولة فاستحقت ان تستريح الى الابد ولا نسمح لاحد ان يشغلها مرة اخرى .

ولكن هل كان يطاوعني قلبي ان افعل هذا بحماري العزيز . نعم كنت فعلت ذلك لو علمت ما خبأه له المقدر من المشقات .

جاءت احدى السيدات من المشايخ الى عين القدح لتمضية بضعة ايام ومعها ولد في شرخ الشباب وعلى جانب عظيم من ضخامة الجسم والعقل وغلاظة الطبع والقلب ، ولما لم يتيسر لها عند عودتها الى ميروبا مصيفها الا حصان واحد طلبت مني ان اعيرها حماري . فاجبتها اني اقدمه لخدمة حضرتك بكل ارتياح ولكني لا يسعني ان اترك ابنك يركبه، لان حماري نحيف . . .

فأجابتني: لقد طلبته لركوبي لان سني لا تسمح لي ان اخاطر بنفسي واركب حصانًا في هذه الطرق الوعرة .

فخجلت وسلمته لها وحرمت نفسي النزهة في ذلك المساء . لكن الحمار لم يعد لا تلك الليلة ولا في اليوم التالي. وبعد ثلاثة ايام اعلمني احد المكارية انه رأى الشيخ ممتطياً له في قرية زوق مكايل على الساحل ، وهي على بعد سبع ساعات من عين القدح. وبعد ذلك رآه مكاري آخر في غزير وآخر في بيروت وآخر في صوفر وآخر في غسطا . فارسلت رجلا يطلبه من الشيخة فوعدت بارساله ثاني يوم . ومضت عشرة ايام ولم يعد حماري . وكنت فيها على احر من الجمر شفقة عليه وايقنت أن ذلك الشاب الثقيل الجسم والروح سيعدمه لا محالة. وزاد قلقي وصف الحالة التي رآها عليه المكارية الذين كانوا يمرون من عين القدح لشراء فحم من مشحرة قريبة، اذ اخبروني ان الشيخ الثقيل لا ينزل عنه دقيقة واحدة بل يسوقه ساعات طويلة من بلدة الى اخرى ويضربه بغير شفقة ويتركه ينام في الليل جائعاً خائراً من دون ان يخلع عنه البردعة . فهزل وصار منظره يفتت الاكباد ، حتى ان عيون مخبريّ كانت تجود بالدموع لدى وصفهم لحالته . واغلبهم عرفه في اوج عزه ودلاله . . .

فصرت اندب حظ حماري وكانت الصخور والاودية تردد صوت بكائي عليه انا الذي ربيته وهذبت عقله واخلاقه ودللته دلال الاب لابنه . . .

وقد زاد حزني عليه في احد الايام حتى افقدني شهوة الطعام ولذة النوم فمضيت ليلة طويلة اسامر النجوم واردد قول امرئ القيس في معلقته :

الا ايها الليـل الطويل الا انجلي   بصبح وما الاصباح منـك بأمثلِ
كأنّ الثريا عُلّقت في مصامها   با مراس كتان الى صُمّ جندلِ

فلم اعد اطيق صبراً على فراقه وعذابه وما انبلج الفجر حتى نهضت من فراشي وانحدرت ماشياً الى قرية ميروبا . وكانت المسافة لا تقل عن ساعتين . ولما كان ذاك اليوم الاحد ذهبت توا الى الكنيسة واستغفرت من ربي مقدماً عن كلما يصدر مني في حق الشيخة . ثم طرقت بابها بعنف وكان صدري يغلي غضباً فلم أعِ ماقلت لها . فاعترفت بخطأ ابنها وطيشه واظهرت الشفقة على الحيوان المسكين فبردت قلبي قليلاً

ودعتني الى ضيافتها ريثما تأتيني به . فرفضت وودعتها بجفاء .

و بعد اربعة ايام جاءت البشائر بانه عائد الى المنزل . فخرج لاستقباله بعض الاصدقاء واتوني به وعلى ظهره كيس دقيق وقد هزل و بانت عظامه وانحنى رأسه وارتعشت قوائمه واتسخت وتمزقت برذعته حتى ان نساء عين القدح ذرفن على حاله دموعا سخية سخينة . وكان في احدى يديه عرج . فتحققت انه سقط . فركضت اليه وصحت في الخادم الا القين عنه هذا الكيس واخلعن عنه هذه البردعة وعجل بالشعير والتبن والحشائش المعطرة . . . ولكن الحمار المسكين لم ينتظر كل هذا بل هجم على كيس الدقيق و بقره باسنانه واخذ يبتلع ما فيه بشراهة ، حتى تفطرت عليه قلوب الحاضرين .

فاضطررت الى اراحته اياماً عديدة كنت افضل فيها النزول على اقدامي الى الكنيسة والصعود منها في الحر صائماً على ان امتطيه، خصوصاً ان تسقيط احدى يديه كان خطراً علي في النزول لعدم ثباتها .

ولما عادت اليه بعض قواه امتطيته لارافق احد الكهنة اصدقائي الى قرية تدعى لاسا كان له ابن عم يصطاف فيها. وكانت في ضيافة المذكور شقيقة له اتت من مصر مع ابنتيها . وهما فتاتان احداهما في الثانية عشرة والاخرى في الرابعة عشرة، علقتا بالحمار لاول نظرة وجعلتاه تسليتهما الكبرى .ولم ترضيا ان تستغنيا عنه. ففاتحني خالهما في امر شرائه . ودفع لي ثمنه الاصلي .

. . . .

و بعد سنة قابلت الكاهن المذكور وسألته عن الحمار . فأجابني

— اظنه مات

— مات ؟ وكيف ذلك .

فقال لقد سمن حمارك حتى بطر . ولم يعد يتجاسر احد ان يقترب منه غير الفتاتين المصريتين . وكان يلهو معهما طول النهار و يركض بهما فرحاً بين التوت

والسكروم . بل كان يحملهما معاً بكل ارتياح ويتباهى بهما امام الجمهور . حتى ارتفعت منزلته في عيون حمير تلك الجهة وخيلها وكانوا يحسدونه على حاله هذه . . .

ولما سافرت الفتاتان المصريتان اراد ابن عمي ان يختصه لركوبه، ولكنه لم يرض عن الفتاتين بديلاً ، وكان يقابله كل مرة بالرفس اجوازاً . فغضب وسلمه الى الشريك .

فرأى هذا ان الطريقة الوحيدة لترويضه والحط من كبريائه هي الاشغال الشاقة، فكان يحمله الحطب والفحم قنطاراً . وفي احد ايام الشتاء القارسة حمّله حملا ثقيلاً من الحطب وساقه عشر ساعات، وكان الثلج يتساقط طول المسافة، حتى وصل الحمار الى المكان المقصود خائر القوى والعرق يتصبب منه . فتركه خارجاً الليل كله والريح الباردة تلسعه وتجفف العرق من جسمه . فاصبح عليلاً .

ولما يئس الشريك من شفائه تركه يموت جوعاً . . .

ك . ق .

انتهت

في عالم الأدب

هدايا

اهدى الينا حضرة الفاضل العالم الاب لويس شيخو ثلاثة كتب من قلمه . ومتى قلنا من قلمه كفانا ذلك كل تقريظ لان ادباء الشرق والغرب يعرفون ما لحضرة الاب المذكور من الفضل على العلوم والآداب وما له من المقدرة على خوض المباحث التاريخية .

في كتاب « تاريخ بيروت وآثارها » اتى بخلاصة ما عرف عن هذه المدينة من قديم الزمان الى الفتح الاسلامي الى ايامنا هذه وما عثر عليه فيها من الآثار. فجاء كتاباً نفيساً في ١٤٠ صفحة مزيناً بالرسوم ومذيلاً بفهارس ابجدية لاعلام الرجال والبلدان والامكنة والمواد، كما هي خطته المفيدة في كل ما ينشره .

والهدية الثانية هي القسم الثالث من كتابه الشهير « شعراء النصرانية » تكلم فيه عن شعراء الدولة العباسية كل منهم بمفرده ملخصاً تاريخ حياته وذاكراً طريقته مع شيء من اشعاره .

وقد تكرم علينا ايضاً بالفهرس الخامس من مخطوطات المكتبة الشرقية اليسوعية ذكر فيه كتب الآباء القديسين والمجامع والكتاب المسيحيين وقصص الاولياء وفحص كلاً من هذه المخطوطات وبين ميزاتها ودل على ما فيها من التعاليق وعرّف العصر الذي كتبت ونسخت فيه .

فنشكر لحضرة الاب همته وهداياه طالبين من المولى ان يطيل في ايامه لنستزيد من علومه

قانون الدعاوي الزواجية

الخوري بولس عويس مدير الدروس العربية في مدرسة الفرير بالاسماعيلية من الواقفين على اسرار اللغة العربية والمتضلعين من العلوم الفلسفية واللاهوتية وخصوصاً الفرع المختص بالشرع الكنسي . وقد سبق له ان زاول خدمة الرعية في الكنيسة المارونية بالاسكندرية فزادت خبرته في الحق القانوني . وله مباحث مشهورة في هذا الباب اهمها في نظرنا كتابه الحالي في الدعاوي الزواجية وسيرها واستئنافها وتنفيذها مما اصبح لا غنى عنه للاكليرس والمحامين واصحاب القضايا . والكتاب يقع في ٤١٥ صفحة بقطع ثمن وهو في لغتنا العربية فريد في بابه .

مجلة الآثار

عاد حضرة العلامة عيسى افندي اسكندر المعلوف المعروف لدى القراء بمباحثه التاريخية الى اصدار مجلته « الآثار » التي توقفت في اثناء الحرب ، وأتحفنا بالجزء الاول من سنتها الرابعة. فبتنا ننتظر الاستفادة من الآثار الادبية والتاريخية الثمينة التي قضى حضرة الاستاذ حياته في جمعها و بذل من اجلها الجهد والمال. فنتمنى لهذه المجلة ما تستحقه من الرواج والمساعدة آملين ان تعمر طويلا فتفيد كثيراً.

حرية الفكر وابطالها في التاريخ

لحضرة الاستاذ سلامه افندي موسى

عنيت بنشره ادارة الهلال وقدمته لمشتركيها عن سنتها الخامسة والثلاثين. والحق انه لم يتسع لنا الوقت لمطالعته والتدقيق في مضمون مباحثه . ولكن ما تصفحناه منه حدانا الى العتب على حضرة الاستاذ لاطلاقه « حرية زائدة لفكره » . فقد جال سريعًا وسطحيًا في الموضوعات المهمة التي توخى الكلام عليها وانتحل بغير تدقيق آراء لا تقوى على النقد الصحيح ولم يعد لها قيمة علمية عند اصحاب العقول الراجحة والاطلاع الواسع . فهي اوهام اتخذها حضرته كحقائق تاريخية ورغب في نشرها في الشرق كأحدث ما وصل اليه العلم ، مع انها في الغرب قد اكل الدهر عليها وشرب

والكتاب متقن الطبع كسائر الكتب التي تصدرها ادارة الهلال وثمن النسخة منه عشرة قروش

المنتخب من شعر ابي شادي

عني بنشره حضرة عبد الحميد افندي فؤاد والشيخ عبد القادر عاشور «لبث

روح الشعر في نفوس التلاميذ والتلميذات فيعتاضون بالشعر التهذيبي عما كان يختار للحفظ والتسميع من امثلة النظم المقفى الجامع لأوامر وعظية جامدة ملّ سماعها الدهر» فنثني على همة الناشرين

جريدة فلسطين

هي في نظرنا ارقى وأكبر جريدة في البلاد الفلسطينية وفي مقدمة الجرائد العربية تفنناً في الموضوعات واطلاعاً على الاخبار . وقد نالت عن حق رواجاً حمل صاحبها الاديب عيسى افندي داود العيسى على اصدارها بست صفحات ثلاث مرات في الاسبوع بعد ان كانت تصدر بثماني صفحات مرتين في الاسبوع اي بزيادة مئة صفحة عليها في السنة مع بقاء قيمة الاشتراك على حالها . بارك الله في همة صاحبها وزاد الاقبال عليها .

باب الاخبار

القطر المصرى

مشكلة الروم الارثوذكس — لا يزال الخلاف مستحكما بين مواطنينا الروم الارثوذكس السوريين والبطريرك ملاتيوس. وقد عقدوا اجتماعا يوم ١٣ مارس في قاعة المرسلين الاميركيين بالاسكندرية القيت فيه الخطب وارسلت على اثره الاحتجاجات .

وقد فشلت المساعي التي بذلها ممثلو هذه الطائفة لحمل البطريرك المذكور على تلبية مطالبهم واهمها ينحصر في ان يكون لهم مجلس ملي ينظر في احوالهم الشخصية ويشرف على اوقافهم ومؤسساتهم الخيرية وان يكون لهم بضعة كهنة وطنيين

يخدمونهم في الروحيات بين مئة كاهن يوناني ، ومطران وطني يمثلهم في الكرسي البطريركي بين سبعة مطارين يونانيين . فرفض البطريرك كل هذه المطالب واقترح اخيراً ان يرسم لهم مساعد اسقف يكون دون المطارنة اليونانيين في الحقوق والمقام فلا يكون له كرسي ابرشية ولا يكون عضواً في المجمع المقدس وبعبارة اخرى يكون اسقفا بالاسم

بين مصر ولبنان — سأل وزير زراعة لبنان الحكومة المصرية اذا كان في استطاعتها ان تعطي حكومة لبنان مقادير من السماد او ارشادها الى المكان الذي تحصل منه على هذا السماد .

الزائر البطريركي الماروني — بعد ان زار سيادة المطران عبد الله خوري اولاد طائفته في القاهرة والمنصورة والاسكندرية والزقازيق وبقية جهات الوجه البحري قصد الوجه القبلي فتفقد الجاليات المارونية فيها الى ان وصل الى نجع حمادي وارمنت . ثم عاد الى القاهرة وبارحنا يوم السبت ٢ الجاري الى بور سعيد بعد ان ترك في قلوب جميع ابنائه شعور الحب الجزيل لما اظهره من الاهتمام بشؤونهم الروحية والمادية ، وجعلهم يرددون الشكر لغيرته ورقته ولعناية غبطة بطريركهم مرسله

كاهن جديد — وفي يوم ٢٨ مارس الماضي رقى سيادته حضرة الشماس لويس عقيقي الى درجة الكهنوت الجليلة

لجنة تكريم احمد شوقي بك — من الذين وقع عليهم الاختيار ليكونوا اعضاء في هذه اللجنة مواطنونا جورج باشا زنانيري . السير سعيد باشا شقير . نجيب باشا منصور شكور . خليل بك مطران . اسعد افندي داغر . والدكتور يعقوب صروف

زيارة الاراضي المقدسة — نظم النادي الكاثوليكي للشبيبة السورية الزيارة السادسة السنوية الى الاراضي المقدسة وجعل ميعادها في يونيو القادم حوالي العاشر منه الموافق لفرصة اعياد الضحية . وينتظر ان يكون الاقبال عليها هذا العام عظيما

نظراً لما وفره هذا النادي للزوار في السنين الماضية من الراحة والانشراح والفائدة.

محاضرة عن حروب ابرهيم باشا في سوريا — القى محرر هذه المجلة مساء ١١ الجاري في قاعة المجمع العلمي المصري بالقاهرة محاضرة باللغة الفرنسوية عن مفكرة مخطوطة عثر عليها تحتوي تفاصيل حروب ابرهيم باشا في سوريا والاناضول (١٨٣١ — ١٨٤٠) فتكلم عن مميزات هذه المخطوطة الثمينة وقيمتها التاريخية ومؤلفها وما قام به السوريون المسيحيون وخصوصاً اللبنانيون من المساعدة لانجاح هذه الحملة وتثبيت قدم الحكومة العلوية المصرية في بلادهم

وقد تفضل بالحضور لسماع هذه المحاضرة سيادة المنسنيور بولس رزق الوكيل البطريركي الماروني وحضرة العلامة الخوري جبرائيل شقيقه وصاحب السعادة احمد زكي باشا واصحاب العزة اشيل صيقلي بك وشارل جلياردو بك وانطون جميل بك والآنسة الكاتبة ماري زياده ورهط من الادباء والسيدات

وسننشر خلاصة هذه المحاضرة في الجزء القادم من هذه المجلة .

وفاة — لبى نداء ربه المرحوم يوسف زيدان شقيق المرحوم جرجي زيدان والاديب ابرهيم افندي زيدان وعم زميلينا اميل وشكري افندي زيدان صاحبي الهلال

مشروع المستشفى السوري في الاسكندرية — اجتمعت اللجنة الموقتة المؤلفة لانهاض هذا المشروع وانتدبت بعض اعضائها لمفاوضة الجمعيات السورية الخيرية في امره حتى اذا عرفت آراءها دعت السوريين في الاسكندرية عموماً للاشتراك في هذا العمل الخيري

لبنان

الاصطياف في لبنان — بدأت الحكومة بتحسين مناطق الاصطياف من

الوجهة الصحية فارسلت مفتشي وزارة الصحة والاسعاف العام الى قرى الاصطياف للوقوف على الحالة الصحية فيها . وسيضع هؤلاء المفتشون تقارير يبينون فيها الوسائل التي يرتأونها لتعزيز الحالة الصحية في الجبل . وقد تألفت لجنة لتسهيل معاملة السياح والمصطافين عند نزولهم من البواخر وعودتهم اليها .

وكتب الى جريدة الوطن ان الف عراقي يستعدون للاصطياف في لبنان في هذا الصيف . وينتظر ان يكون اقبال المصطافين المصريين هذه السنة عظيما

وقد نشطت قرى لبنان الى تحسين فنادقها ومنازلها وتوفير اسباب الراحة لضيوفها والف اللبنانيون الشركات لانارة اكثر القرى بالكهرباء . فطلب الخوري بولس صفير امتيازاً بانارة قرى ريفون وفيطرون وعشقوت بالكهرباء . والتمس حضرة سليمان بك كنعان امتيازاً بانارة جزين . وقدم سعادة الامير سليم ابي اللمع طلباً بانارة قرية انطلياس بالكهرباء التي يستخرجها من مياه طاحونه . وطلب الدكتور اسكندر خوري امتيازاً بانارة بلدة البترون. وتألفت شركة وطنية لاستخراج الكهرباء بواسطة مجرى المياه في اعالي نهر الكلب لانارة جونيه والسواحل المجاورة

وعاد من اوربا رشيد افندي كبيروز رئيس شركة مشروع قاديشا الكهربائي والخوري انطونيوس جعجع والبر افندي نقاش مهندس الشركة الخاص بعد ان زاروا باريس واشتروا الادوات اللازمة لتوليد الكهرباء وتوزيعها على لبنان الشمالي. وقد عزم ايضاً حضرة رشيد افندي المذكور على انشاء معمل لبناني للترابة الافرنجية (الاسمنت) بالاشتراك مع بعض الفنيين الفرنسويين

واقرضت الحكومة بلدية اهدن الف وخمسمائة ليرة ذهبية لتوزيع المياه في البلدة . فقررت هذه البلدية الجديدة توسيع طريق نبع مارسركيس وباحته وفتح شارع جديد في حرش الشربين في اعلى البلدة شرقيها وتصليح الطريق الواصلة من زغرتا الى نهر رشعين .

ووضعت وزارة الاشغال في المناقصة اشغال انشاء القسم الثاني من طريق الارز

وبناء جسر دير البنات على طريق جبيل . واقرضت الحكومة بلدية بسكنتا مبلغ الف ليرة ذهبية لانشاء طريق للسيارات من بسكنتا الى صنين تسهيلا للمصطافين الذين طالما تاقوا الى زيارة تلك الاكام الجميلة .

الزراعة والصناعة — عزمت وزارة الزراعة اللبنانية على تعميم زراعة الخروع في لبنان بعد أن تأكدت من فوائد زيوته في الصناعة . وقد طلبت كميات كبيرة من بذوره على انواعها لزرعها في الحقول الاختيارية ثم تعميمها في الاراضي اللبنانية .

وقررت الغرفة الزراعية في البقاع تشجيع زراعة اليانسون للكميات الكبيرة التي يحتاج اليها ابناء البقاع وزحله في سبيل المشروبات الكحولية . وقد كانوا يجلبون اليانسون من دمشق . فتعود عليهم زراعته بمورد يعادل موسم الحنطة وبقية الغلال .

وقد اعفت الحكومة الفرنسوية الخروب الصادر من لبنان وسوريا الى بلادها من الرسوم الجمركية

وطلبت المفوضية من حكومة لبنان لائحة باسماء اصحاب معامل الحرير الذين امتازت معاملهم، وقصدها تقديم الجوائز لهم على سبيل التنشيط . ولكنها اخطأت في تخفيض الرسوم على الحرير الاجنبي لان ذلك يؤول الى مزاحمة الحرير اللبناني . وقد ابهظت عاتق الخزينة اللبنانية بطلب ١٥٠ الف ليرة ذهبية لنفقات جيش الاحتلال . وقرأنا في بعض الجرائد انها مزمعة على نقل سبعين الف مهاجر ارمني من البلاد اليونانية الى الاراضي اللبنانية .

مؤتمر طبي — عقد المؤتمر الطبي السنوي في الجامعة الاميركية ببيروت وبلغ عدد الاطباء الذين اشتركوا فيه ١٥٠ طبيبا من لبنان وسوريا وفلسطين .

جامعة متخرجي مدرسة الحكمة — تأسست هذه الجامعة لايجاد روح التعارف بين متخرجي هذه المدرسة ولتوثيق الصلات بينها وبينهم ومناصرة كل مشروع وطني مفيد للبلاد .

الآثار — بينما كانت بلدية بيروت تقوم بحفريات في مكان بوابة بيروت القديمة عثر العمال على ارض غرفتين تبلغ مساحة كل منهما خمسة امتار مربعة مزينتين بالفسيفساء والنقوش العربية القديمة . وهي بديعة الشكل لما في صنعها من مهارة ودقة

وعثر رجال دائرة الآثار في بعلبك على كتابة لاتينية يرجع تاريخها الى القرن الاول بعد المسيح . وهي كتاب شكر وتشجيع لاحد قواد الفرقة الرومانية السابعة في جهات بعلبك . وعثر ايضاً في مكان يدعى تل سينا على ساعة شمسية لها اهمية أثرية ذات شأن يعود تاريخها الى القرن الثامن بعد المسيح . وهي تمتاز عن غيرها بان عدد ساعات النهار مكتوب باحرف اشورية وهي اثنتا عشرة . وقد جيء بهذين الاثرين الى متحف بيروت

المطران بولس عواد — لما كان يوم ٢٩ ابريل الحالي موافقاً لختام الخمسين سنة من ارتقاء سيادة المطران بولس عواد رئيس اساقفة قبرس الماروني الى درجة الكهنوت تألفت لجنة من ابناء ابرشيته للاحتفال بهذا اليوبيل في اليوم المذكور ولتقديم هدية تذكارية لسيادته بهذه المناسبة .

انعام — انعم قداسة الحبر الاعظم على حضرة الاب الجليل الخوري اغناطيوس كيروز من كهنة بشري الممتازين بوسام « في سبيل البابا والكنيسة » من الدرجة الاولى وسمح له غبطة البطريرك الماروني باستخدام التاج والعصا في الاحتفالات الكنسية

نابغة لبناني — قدم الى طرابلوس فداريّا حضرة الشيخ اسكندر العلم عضو مجلس شيوخ استراليا . فاستقبله رجال الحكومة رسمياً ولقي كل اكرام من مواطنيه وقد اقام له حضرة الاب الغيور الخوري لويس العلم رئيس مدرسة داريا حفلة تكريمية باهرة .

خطب جلل — في ليل الاربعاء ١٦ مارس الماضي استأثرت رحمة الله في بيروت بالراهبة الفاضلة المجاهدة الام اسطفاني ، رئيسة راهبات العائلة المقدسة المارونيات المعروفات

براهبات عبرين،عن ٥٨ عاماً اثر عملية جراحية . فعظم الحزن عليها لما لها من الايادي البيضاء والمساعي المشكورة في سبيل الوطن والدين . وهي ارثوذ كسية الاصل من مدينة الناصرة اعتمدها غبطة البطريرك الماروني في مشروعه العظيم ، وهو تأسيس رهبنة تقوم بتهذيب الفتيات تهذيباًوطنياً شرقياً يغنيهن عن الرهبنات الغربية، فينشأن على حب وطنهن ولغتهن وطقوسهن .وقد جاهدت في سبيل ذلك مدة ٢٨ سنة واظهرت همة ومهارة اعظم الرجال وتركت لهذه الرهبنة بمساعدة وعناية غبطة البطريرك مؤسسها ١٧ مدرسة تعد من احسن مدارس لبنان ترتيباً واتقاناً . عدا المستشفى الماروني في بيروت الذي تسلمت ادارته اخيراً. وهي التي ربت وعلمت كل الراهبات الداخلات في سلك هذه الجمعية وضحت راحتها وصحتها وكل شيء في سبيل تقدم ونجاح هذا المشروع الذي نعده من اكبر المشاريع الوطنية المؤسسة في شرقنا .

وكانت في حياتها مثال القداسة والفضائل . وقد نقلت جثتها الى دير عبرين حيث احتفل بدفنها احتفالا لائقاً بالمجاهدات مثلها . فنتقدم بواجب التعزية لغبطة بطريركنا المحبوب التي خدمت مقاصده بكل همة ومهارة ولحضرات راهبات العائلة المقدسة اللواتي فقدن بها اماً حنونةورئيسة نشيطة .

سوريا

وفاة اسقف — توفي في مستشفى دمشق السيد غريغوريوس جرجس شاهين مطران حمص وحماة للسريان الكاثوليك وله من العمر ٨٨ سنة وقد خدم في الاسقفية ٥٥ سنة . فنقلت جثته الى كاتدرائية دمشق السريانية وقام بحفلة جنازته سيادة المطروبوليت نقولاوس قاضي والسيد غريغوريوس هبرا وجمهور من علية القوم

امير مصري لعرش سوريا — رشحت بعض الصحف سمو الامير محمد علي المصري لعرش سوريا منوهة باهليته وعلمه وحبه للسوريين وصداقته لفرنسا .

دمشق — وصل اليها من مصر دولة عبد الخالق ثروت باشا ومعالي علي الشمسي باشا وحضرات حافظ عفيفي بك وطاهر اللوزي بك . وبهذه المناسبة اقترحت جريدة الجوائب تسمية الطريق من بيروت الى حيفا باسم ابراهيم باشا المصري .

اميركا الشمالية

سنسناتي . اوهايو — انشأ حضرة المفضال الخوري الاسقفي طوبيا الدحداح راعي الطائفة المارونية في هذه المدينة مدرسة لتعليم الاحداث اللغة العربية . دفعته غيرته الى القيام بهذا المشروع بالرغم من ان خدمة الرعية تستغرق كل اوقاته . لانه يعلم ان اللغة العربية هي اكبر رابطة بين المهاجرين ووطنهم الاصلي

الارشمندريت بطرس ابو زيد ب . م — قرأنا في الجرائد الاميركية ثناء عطراً على حضرة الاب بطرس ابو زيد راعي كنيسة الروم الكاثوليك في بوسطن . فانه في بضعة اشهر بعد وصوله رمم الكنيسة المذكورة والانطوش التابع لهاوالبسهما حلة جميلة على حدما فعل بكنيسة الطائفة في لورنس ماس . وانشأ جمعية جديدة للشبان السوريين الكاثوليك انضم تحت لوائها نحو الاربعين شاباً .

بتسفيلد . ماس — بمناسبة مرور عام على تأسيس المنتدى السوري الاميركي للسيدات بهذه المدينة اقيمت حفلة شائقة حضرها جمهور كبير من الجالية السورية هناك .

برمنهام . الاباما — دعت جمعية الشبان السوريين في هذه المدينة كل ابناء الوطن لحضور حفلة ادبية خطب في اثنائها حضرة الاب يوسف شباط كاهن الرعية المارونية مثنياً على مبادئها وشاكراً لاعضائها وخاصة حضرة رئيسها الهمام الدكتور ميكل الخوري حريقه

وستر ماس — اقامت الجالية السورية في هذه المدينة حفلة في الحديقة الشتوية للشاب المحامي هنري جورج نجل الوطني الوجيه يوسف حنا جورج بمناسبة فوزه بالشهادة العلميـة الشرعية واعترافاً لما لحضرة والده من الخدمات الجليلة في سبيل الجالية .

اميركا الجنوبية

الآثار الفينيقية في البرازيل — عثر في ولاية ميناس على آثار قديمة بينها مومياء منقوش على تابوتها كتابة فينيقية . فنقلت الى العاصمة وعرضت في المكتبة الوطنية

قنصل ارجنتيني في بيروت — عينت وزارة الخارجية السنيور البرتو كنديوتي قنصلاً للجمهورية الفضية في بيروت ، فملأت الفراغ وازالت العراقيل التى كانت تعترض المواصلات بين لبنان وسوريا وهذه الجمهورية

بوسادا — قررت الجمعية اللبنانية في بوسادا ابتياع ارض لتشييد بناء خاص لها

ريوناغرو — زار هذه الاصقاع حضرة الاب الغيور الخوري جبرائيل زيدان من جمعية المرسلين اللبنانيين واهتم بشؤون مواطنينا الروحية وكرس في بلدة خاكوبانشي قاعة في بيت المواطن سمعان ناصيف لتقام فيها الفروض الدينية حسب الطقس الماروني

كوردبا — صمم صاحب جريدة كوردبا على افتتاح مدرسة عربية داخلية في هذه المدينة خدمة لمواطنيه

بوناسيرس — عزم حضرة الاب الياس ماريا رئيس الرسالة اللبنانية في الارجنتين على بناء كنيسة ملاصقة لبناء دير الرسالة الحالي . وستكون كبيرة وعلى طراز الهندسة الحديثة ولائقة بمركز الطائفة المارونية في هذه الجمهورية. وقد عهد الى مهندسين ماهرين بوضع اللوائح اللازمة لهذه الكنيسة وتلزيمها الى شركة بناء تنجز العمل في الوقت المعين .

هدية المجلة

قسمنا هدية المجلة عن سنة ١٩٣٦ الى ثلاثة اقسام .

١ – كتاب « تاريخ حروب باشا في سوريا » الذي انجزنا طبع القسم الاكبر منه وسنوزعه في مايو القادم

٢ – ملحق يحتوي وثائق تاريخية متعلقة بحروب ابرهيم باشا في سوريا وسنوزعه في عطلة الصيف القادمة

٣ – تاريخ ثورة سنة ١٨٤٠ سيوزع في شهر نوفمبر القادم

تنبيه – لا تهدى هذه الكتب الا لمشتركي سنة ١٩٣٦ « المحرر »

فهرس

الجزء الرابع من السنة الثانية